رحمـــة الله بخلقه

في القرآن الكريم

الدكتور/ محمد بن سريع بن عبدالله السريع
قسم القرآن وعلومه ـــ كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن صفة الرحمة من الصفات العظيمة التي اتصف بها الحق تبارك وتعالى، ومنها اشتق من الأسماء الحسنى (الرحمن، الرحيم)، وما اتصف به تعالى من صفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف فإنه عائد إلى هذه الصفة وتلك الأسماء بوجه من الوجوه[1].

والقرآن الكريم -وقد جاء لبيان التوحيد وما لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى- جاء ذكر رحمة الله تعالى فيه في مواضع متعددة وآيات كثيرة، وكان يلفت نظري أثناء قراءة القرآن الكريم ذكر الرحمة في كثير من المواطن؛ في أثناء الآيات أو ختامها، سواء بذكر صفة الرحمة التي اتصف بها الله تعالى أو بذكر أحد أسمائه الحسنى الدالة على هذه الصفة؛ وكانت مناسبة ذكرها في بعض المواطن تبدو بيّنة واضحة لأول وهلة، بينما كانت في أحايين أخرى تحتاج إلى وقفة وتأمل، بل وأحياناً إلى مراجعة كتب التفسير ومطالعة ما قاله الأئمة في ذلك، لهذا ولغيره فقد حرصت على الكتابة في هذا الموضوع، صفة الرحمة لله عز وجل والأسماء الدالة عليها في القرآن الكريم ومناسبات ذكرها، وقد أسميته: (رحمة الله بخلقه في القرآن الكريم).

أهمية الموضوع:

١- صلة هذا الموضوع الوثيقة بكتاب الله تعالى وتفسيره، وكل ما متَّ لهذا الكتاب العظيم بسبب فهو مهم ومفيد.

٢- أن الله تعالى حث على تدبر كتابه وتفهم آياته كما قال جل في علاه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]. إذ هو أصل العلوم وأنفعها، فالواجب أن تفنى الأوقات وتنفق الساعات في مدارسته وفهم آياته ودلالاته، قال ابن القيم رحمة الله (ت ٧٥١هـ): "فما أشدها من حسرة وأعظمها من غبنة على من أفنى

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٣٣).

أوقاته في طلب العلم ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه"[1].

٣- صلته بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، التي هي أصل من أصول التوحيد، وركيزة من ركائز الإيمان "بل أصل معرفة الله تعالى معرفة ما تحتوي عليه أسماؤه الحسنى، وتقتضيه من المعاني العظيمة، بحسب ما يقدر عليه العبد، وإلا فلن يبلغ علم أحد من الخلق بذلك، ولن يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده"[2].

٤- أن تدبر هذه الأسماء الحسنى وما تقتضيه من المعاني العظيمة والنعوت الجليلة سبب عظيم جالب لمحبة الله تعالى؛ كما قال ابن القيم رحمة الله في بيان الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها: "الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة، ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة"[3].

٥- إن في دراسة هذا الموضوع وأمثاله تقوية لباعث الرجاء في قلب المؤمن، إذ لولا رجاء الله تعالى لهلك الإنسان وانقطع.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

- المقدمة: وبينت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، والمنهج في كتابته.
- التمهيد: في عظم رحمته تعالى وآثار العلم بذلك.

الفصل الأول: الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة في القرآن الكريم ومعانيها. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسم الله (الرحمن).

المبحث الثاني: اسم الله (الرحيم).

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٩٤).

(٢) القواعد الحسان (ص ١٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/١٧).

المبحث الثالث: اسم الله (الرؤوف).

الفصل الثاني: مناسبة ذكر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة .. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مناسبة ذكر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة أثناء الآيات.

المبحث الثاني: مناسبة ذكر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة في ختام الآيات.

الفصل الثالث: رحمة الله بخلقه في القرآن الكريم.(معاني وآثاراً ودلالات).

الخاتمة: وذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج.

منهج البحث:

١- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مبيناً أرقامها.

٢- خرجت الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، وإلا اجتهدت في تخريجه من كتب السنة مبيناً درجته من خلال النقل عن أئمة هذا الشأن.

٣- خرجت الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.

٤- حرصت على الرجوع إلى كتب التفسير في بيان مادة البحث وتوضيح مسائله، وقد استفدت كثيراً في بيان المناسبات من كتابي: روح المعاني للألوسي رحمة الله (ت ١٢٧٠هـ)، والتحرير والتنوير لابن عاشور رحمة الله (ت ١٣٩٣هـ)، وكانت استفادتي من الثاني أكثر.

٥- لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار، وإنما أكتفي بذكر تاريخ وفاة العلم لدلالته على الشخص وعصره ونفي اشتباهه بغيره -عدا الصحابة رضي الله عنهم لشهرتهم في الغالب-.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يرزقنا تدبر كتابه وتفهم معانيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

تمهيد: في عظم رحمته تعالى، وآثار العلم بذلك :

إن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وله -جل وعلا- المثل الأعلى في السموات والأرض، فله تعالى من الأسماء أزكاها، ومن الصفات أعلاها. فمن صفاته تعالى صفة الرحمة التي وسعت كل شيء وعمت كل أحد وما قيام الخلق إلا برحمته تعالى التي كتب على نفسه أنها سبقت غضبه، ومن هذه الصفة العظيمة اشتق له أسماء حسنى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

ومجيء البركة كلها من هذه الأسماء الحسنى، وبها وضعت البركة في كل مبارك، وبهذه الأسماء افتتح كتابه في أم القرآن بـ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ .

"وانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة؛ وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرَّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهاداً وفراشاً وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر؛ وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان.

فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم: الرحمن الرحيم.

وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالهم؛ فبرحمته خُلقت، وبرحمته عُمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه.

ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه ... ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل، وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه.

ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فبها تعطف الوالدة على ولدها والطير والوحش والبهائم وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾ [الرحمن: ١-٤] كيف جعل الخلق والتعليم ناشئاً عن صفة الرحمة متعلقاً باسم الرحمن؛ وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝ ﴾ [الرحمن: ٧٨] فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك؛ فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما أخلي منه نزعت منه البركة"(١).

"وإذا أراد الله بأهل الأرض خيراً نشر عليهم أثراً من آثار اسمه الرحمن فعمر به البلاد وأحيا به العباد، وإذا أراد بهم شراً أمسك عنهم ذلك الأثر فحلَّ بهم من البلاء بحسب ما أمسك عنهم من آثار اسمه الرحمن؛ ولهذا إذا أراد الله سبحانه أن يخرب هذه الدار ويقيم القيامة أمسك عن أهلها أثر هذا الاسم وقبضه شيئاً فشيئاً، حتى إذا جاء وعده قبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض؛ فتضع لذلك الحوامل ما في بطونها، وتذهل المراضع عن أولادها فيضيف سبحانه تلك الرحمة التي رفعها وقبضها من الأرض إلى ما عنده من الرحمة فيكمل بها مائة رحمة فيرحم بها أهل طاعته وتوحيده وتصديق رسله وتابعيهم.

وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيته ممتلئاً بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه والجو بهوائه، وما في خلاله من ضد ذلك فهو مقتضى قوله: "سبقت رحمتي غضبي"(٢).

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص(٣١٧).

(٢) انظر تخريج الحديث ص (٢٦٥).

فالمسبوق لابد لاحق وإن أبطأ، وفيه حكمة لا تناقضها الرحمة فهو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين"[١].

آثار العلم بذلك:

إذا كان الأمر كذلك فما الذي تثمره هذه المعرفة عند المؤمن؟ وما الذي تخلفه في قلبه وسلوكه وخلقه؟ إن لهذا العلم آثاراً جمة وفوائد عظيمة لعل أبرزها:

١- أنها تزيد من محبة الله تعالى في قلب العبد، والتي هي من أجلّ الطاعات وأعظم القربات.

إن العبد الضعيف حين ينظر إلى آثار هذه الصفة العظيمة التي اتصف الله تعالى بها ، وما يتنزل عليه منها ليمتلئ قلبه حباً لسيده ومولاه.

إن الله تعالى هو الغني الحميد الذي له ملكوت كل شيء وبيده مقاليد كل شيء، وهو تعالى لا تنفعه طاعة الطائعين كما لا تضره معصية العاصين، ومع ذلك فهو قد كتب على نفسه الرحمة، وخلق مائة رحمة أنزل منها رحمة بها يتراحم الخلق، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة.

إن من أعظم ما يزيد محبة العبد لربه جل وعلا أمرين:

أ- مطالعة ماله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا[٢].

ب- التفكر في عظيم نعمه على عباده وماله عليهم من البر والإحسان والخير العميم والفضل الكريم، فبقدر مطالعته لهذه المنة تكون قوة المحبة، "فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وليس للعبد قط إحسان إلا من الله، ولا إساءة إلا من الشيطان"[٣].

وإن أعظم صفات الرب تعالى صفة الرحمة، وما يتقلب العباد فيه من النعم والخيرات فهو من آثار هذ الصفة الكريمة، ولذا كان التفكر في هذه الصفة والاطلاع على آثارها من أعظم ما يزيد المحبة.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص (٣١٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/٣٨).

(٣) المرجع السابق (٣/٣٧).

٢- أن ذلك مما يزيد الرجاء في قلب المؤمن، ويفتح له أبواب حسن الظن بالله تعالى، ويقطع عنه غائلة القنوط واليأس، إذ لا يجتمع العلم بعظيم رحمة الله بخلقه والقنوط من هذه الرحمة في قلب واحد.

٣- أن ذلك مما يملأ القلب بالطمأنينة حتى في أوقات البلاء والضراء التي تزيغ فيها الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر، ذلك أن المؤمن يستيقن أن ربه تعالى ما ابتلاه بذلك ليعذبه ولا ليطرده من رحمته فإن الله تعالى لا يطرد من رحمته أحداً يرجوها، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله ويظنون به ظن السوء.

٤- زيادة الحياء من الله تعالى في قلب المؤمن، ذلك أن القلب السوي يملؤه الحياء ممن له هذه الصفات العلى والنعوت الكاملة وممن نعمته تترى عليه آناء الليل والنهار، ولو أنه رفع عنه رحمته لحظة أو لمحة لحل به الشقاء والبلاء.

٥- ومن أعظم الآثار أن يتخلق المؤمن بصفة الرحمة فإن الله تعالى خلق مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلق في هذه الدنيا، وبقدر ما في قلب المؤمن وسلوكه وخلقه من الرحمة بقدر ظَفَره بما أنزله الله تعالى من الرحمة.

ولقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة إلى هذه الخلة العظيمة، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ابن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (من لا يرحم لا يُرحم)[٢].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة رقم (٤٩٤١)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس رقم (١٩٨٩) (تحفة الأحوذي)، والحاكم (١٥٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٣٠/٢) رقم (٩٢٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته رقم (٥٩٩٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال رقم (٦٠٢٨).

الفصل الأول : الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة في القرآن الكريم ومعانيها :

ورد في القرآن الكريم مجموعة من الأسماء الدالة على صفة الرحمة، منها ما اتفق العلماء على عده من الأسماء الحسنى ومنها ما اختلفوا فيه، وسأبدأ أولاً بما اتفقوا على عده من الأسماء الحسنى ، فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول: اسم الله (الرحمن):

بتأمل ورود هذا الاسم في القرآن الكريم يتضح ما يلي:

١- ورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم في سبعة وخمسين موضعاً.

٢- أكثر هذه المواضع كان أثناء الآيات.

٣- ولم يرد في ختام الآيات إلا في ستة مواضع مقروناً بـ(الرحيم) وهي:

١- البسملة: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

٢- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:١-٢].

٣- ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٤- ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل:٣٠].

٥- ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢].

٦- ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢].

٤- غالب ما ورد في السور المكية، ولم يرد في السور المدنية إلا قليلاً جداً.

٥- أكثر سورة ورد فيها هذا الاسم سورة مريم، فقد ورد في (١٦) موضعاً ثم سورة الزخرف في (٧) مواضع، ثم سورة الفرقان في (٥) مواضع، ثم سورة طه والأنبياء ويس والملك في (٤) مواضع في كل سورة منهن، بينما لم يرد في سورة البقرة إلا في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أما سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة ويونس وهود ويوسف فلم يرد في أي منهن.

٦- لم يرد هذا الاسم الكريم إلا مفرداً، و لم يرد مقروناً بغيره من الأسماء الحسنى إلا في ستة مواضع قرن فيها باسم (الرحيم) وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

٧- (الرحمن) هو اسم من أسماء الله تعالى متضمن صفة الرحمة -كما هو معلوم- فمن حيث هو اسم جاء في القرآن الكريم مفرداً غير تابع كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٢]، ومن حيث هو صفة جاء تابعاً لاسم (الله) كقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال ابن القيم رحمه الله : "أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورد الاسم العلم. ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حسن مجيئه مفرداً غير تابع كمجيء اسم الله كذلك وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمة كاسم الله فإنه دال على صفة الألوهية و لم يجئ قط تابعاً لغيره بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفته لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً"[(١)].

المبحث الثاني: اسم الله (الرحيم):

بتأمل ورود هذا الاسم في القرآن الكريم يتضح ما يلي:

١- ورد هذا الاسم في القرآن في (١١٤) موضعاً.

٢- وكان وروده في السور المدنية أكثر من وروده في السور المكية.

٣- أكثر سورة ورد فيها هذا الاسم الكريم سورة البقرة فقد ورد في (١٢) موضعاً، ثم سورة النساء في (١١) موضعاً، ثم سورة الشعراء في (٩) مواضع، ثم سورة براءة في (٨) مواضع.

٤- لم يرد هذا الاسم الكريم إلا في ختام الآيات، و لم يرد أثناءها مطلقاً.

---

(١) بدائع الفوائد (١/٢٤).

٥- أكثر الأسماء الحسنى اقتراناً باسم (الرحيم) هو (الغفور)[1] حيث اقترنا في (٧١) موضعاً يتقدم الغفور على الرحيم، وفي موضع واحد تقدم الرحيم على الغفور وهو قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝ ﴾ [سبأ: ٢].

٦- أما بقية الصيغ التي ورد فيها هذا الاسم فهي على النحو الآتي:

أ- (العزيز الرحيم) في (١٣) موضعاً، منها تسعة في سورة الشعراء.

ب- (التواب الرحيم) في تسعة مواضع.

ج- (الرؤوف الرحيم) في ثمانية مواضع.

د- (الرحمن الرحيم) في ستة مواضع.

هـ-(بكم رحيماً) في موضعين.

و- (رحيم ودود) في موضع واحد في سورة هود (آية: ٩٠).

ز- (بالمؤمنين رحيماً) في موضع واحد في سورة الأحزاب (آية: ٤٣).

ح- (رب رحيم) في موضع واحد في سورة يس (آية: ٥٨).

ط- (البر الرحيم) في موضع واحد في سورة الطور (آية: ٢٨).

٧- قال ابن القيم رحمه الله : "ورود الرحمن في أسمائه أكثر من ورود الرحيم، ولهذا قال:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه: ٥] ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩] ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [مريم:٤٥] ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [النبأ:٣٧] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٢]، وإنما جاء الرحيم مقيداً كقوله:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]، ومقروناً باسم الرحمن كما في الفاتحة،

---

(١) راجع مناسبة الجمع بين هذين الاسمين، ومناسبة تقديم الغفور ص (٢٤٨).

أو باسم آخر نحو ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ "[١].

الفرق بين هذين الاسمين الكريمين (الرحمن) (الرحيم) :

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال متعددة نبينها على النحو الآتي:

ذهب جمع من أهل العلم إلى أن معناهما ودلالتهما واحدة[٢].

وذهب الأكثر إلى أن بينهما فرقاً، وقد اختلف هؤلاء أيهما أشد مبالغة؟ فذهب الأكثر إلى أن (الرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم) لأنه على وزن (فعلان) الذي يدل على الامتلاء والغلبة، قال ابن كثير رحمة الله (ت ٧٧٤هـ) : "الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير (ت ٣١٠هـ) ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا"[٣].

وقيل: (الرحيم) أشد مبالغة من (الرحمن)[٤].

وقال أبو حيان رحمه الله (ت ٧٤٥هـ): "الذي يظهر أن جهة المبالغة مختلفة فلذلك جمع بينهما، فلا يكون من باب التوكيد، فمبالغة (فعلان) مثل غضبان وسكران من حيث الامتلاء والغلبة، ومبالغة (فعيل) من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة، ولذلك لا يتعدى (فعلان)، ويتعدى (فعيل) فتقول: زيد رحيم المساكين ..."[٥].

وأما فيما يتعلق بالتفريق بينهما فأبرز الأقوال على النحو التالي:

الأول: (الرحمن) بجميع الخلق، (الرحيم) خاص بالمؤمنين[٦].

الثاني: (الرحمن) رحمن الآخرة والدنيا، (الرحيم) رحيم الآخرة، فعن أبي سعيد

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص (٣٠٩-٣١٠).

(٢) انظر: البحر المحيط (١٢٨/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٥/١)، وانظر: تفسير الطبري (١٢٦/١)، الكشاف (١٠٨/١)، زاد المسير (٩/١)، فتح القدير (١٨/١).

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (١٢٨/١)، وابن كثير في تفسيره (٣٦/١) غير منسوب.

(٥) البحر المحيط (الموضع السابق).

(٦) رواه ابن جرير عن العرزمي (١٢٧/١)، وبه قال الخطابي كما في زاد المسير (٩/١).

الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن عيسى بن مريم قال (الرحمن) رحمن الآخرة والدنيا، و(الرحيم) رحيم الآخرة)[1].

الثالث: (الرحمن) دال على الصفة القائمة به تعالى، (الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم.

وعبارة جمع من أهل العلم تشير إلى هذا المعنى وإن وقع خلاف بينهم في بعض القضايا[2]، قال ابن القيم رحمه الله: "(الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه، و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئ قط رحمن بهم، فعلم أن (رحمن) هو الموصوف بالرحمة، و(الرحيم) هو الراحم برحمته"[3].

المبحث الثالث: اسم الله (الرؤوف):

ونلخص الكلام على هذا الاسم الكريم في النقاط الآتية:

١- ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في (١٠) مواضع.

٢- جاء هذا الاسم الكريم في (٨) مواضع في سور مدنية، بينما ورد في موضعين من سورة النحل وهي مكية.وهذا الموضعان هما:

أ- قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧].

---

(١) رواه ابن جرير (١/١٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٥١)، وابن عدي في الكامل (١/٢٩٩)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٠٤)، قال ابن كثير: "وهذا غريب جداً، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات" (١/٣٣)، قال السيوطي: "بسند ضعيف جداً" ا.هـ. الدر المنثور (١/٢٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: "هذا حديث موضوع لا أصل له". ا.هـ. تفسير الطبري (الموضع السابق).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/٢٧)، البحر المحيط (١/١٢٨).

(٣) بدائع الفوائد (١/٢٤)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص (٣١٠)، مدارج السالكين (١/٣٣).

ب- قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٧].

٣- جاء في (٨) مواضع مقرونًا باسمه تعالى (الرحيم)، وفي موضعين بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، وهما قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٤- لم يرد هذا الاسم الكريم إلا في ختام الآيات القرآنية، ولم يرد أثناءها مطلقاً.

الفرق بين الرأفة والرحمة:

هل بين الرأفة والرحمة فرق؟ أم هما بمعنى واحد؟ اختلف أهل العلم في هذه المسألة على النحو التالي:

القول الأول: أنه ليس بينهما فرق، والرأفة هي الرحمة، وحيث قرن بينهما فإنما هو من باب التأكيد، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين.

وبهذا قال الزجاج[(١)] (ت ٣١١هـ) وجماعة[(٢)].

القول الثاني: أن بينهما فرقاً، وأن الرأفة هي أرق الرحمة وأشدها، وبه قال أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) وأبو عبيدة[(٣)] (ت٢١٠هـ) الجوهري(ت٣٩٣هـ) وآخرون[(٤)].

هذا ما اتفق العلماء على عدّه من الأسماء الحسنى، وثمة أسماء متعلقة بالرحمة

(١) انظر: معاني القرآن (٢٢/١).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ (٥٥/٢)، لسان العرب (رأف) (١١٢/٩).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢٧٠/١).

(٤) انظر: عمدة الحفاظ (٥٥/٢)، لسان العرب (رأف) (١١٢/٩)، التحرير والتنوير (٢٥/٢).

اختلف أهل العلم في عدها من الأسماء الحسنى وهي:

أ- (أرحم الراحمين): وقد جاء ذكره في القرآن في أربعة مواضع وهي:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

٢-قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

٣-قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

٤-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ب-(خير الراحمين): وقد ذُكر في القرآن في موضعين من سورة المؤمنون هما:

١-قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

٢- وقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

ومما يستوقف المرء في هذه الآيات جميعاً أنها جاءت في بيان دعاء الله تعالى، سواء كان تعليماً من الله تعالى لعباده ما يدعونه، أو كان على ألسنة رسله عليهم السلام والصالحين من عباده، ولذا فإنه ينبغي دعاء الله تعالى بها والتوسل إليه من خلالها كما جاء في القرآن الكريم.

ج- (ذو الرحمة الواسعة): وقد جاء ذكره في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧][1].

---

(١) انظر خلاف أهل العلم في عدِّ هذه الأسماء في : أسماء الله الحسنى، ص (٣٤٩-٣٥١).

الفصل الثاني : مناسبة ذكر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة :

المبحث الأول: مناسبة ذكر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة أثناء الآيات:

سبق بيان أنه لم يرد في أثناء الآيات الكريمة من الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة إلا اسم (الرحمن)، وهذا الاسم لما كان مختصاً به تعالى حسن مجيئه مفرداً غير تابع كمجيء اسم (الله) كذلك. ومما لا شك فيه أن كل موضع صرح فيه بهذا الاسم فإنما كان ذلك لمناسبة قد تظهر لنا وقد لا تظهر، وحيث جاء فإنه لا يغني عنه غيره ولا يغني عنه الإتيان بالمضمر، وأقف الآن مع بعض المناسبات في إيراد هذا الاسم الكريم محاولاً استجلاء الحكمة في ذكره، والله تعالى ولي التوفيق ومنه أستمد العون.

١- أن يؤتى بهذا الاسم الكريم في معرض الرد على المشركين الذين أنكروه وجحدوا تسمية الله تعالى به:

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠].وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴾ [الفرقان: ٦٠].

ومناسبة ذكر هذا الاسم الكريم في هذه الآيات لأن السياق في بيان ضلال المشركين وكفرهم وجحدهم لهذا الاسم، ولذا جاءت الآيات بالتصريح به.

ومن المعلوم أن المشركين الذين نزلت فيهم هذه الآيات لم ينكروا وجود الله ولا ربوبيته ولا ما يتضمنه اسم (الرحمن) من الإحسان، فإن أحداً لم ينكر إحسان الله إلى

خلقه ولكنهم أنكروا هذا الاسم وجحدوا به[1].كما قالوا يوم صلح الحديبية حين أمر صلى الله عليه وسلم الكاتب أن يكتب في الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: أما الرحمن فما ندري ما هو[2]. قال ابن عاشور رحمه الله عند آية الرعد: "واختار اسم (الرحمن) من بين أسمائه تعالى لأن كفرهم بهذا الاسم أشد؛ لأنهم أنكروا أن يكون الله رحماناً، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ في سورة الفرقان، فأشارت الآية إلى كفرين من كفرهم: جحدهم الوحدانية، وجحد اسم (الرحمن) ولأن لهذه الصفة مزيد اختصاص بتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتأييده بالقرآن؛ لأن القرآن هدى ورحمة للناس، وقد أرادوا تعويضه بالخوارق التي لا تكسب هدياً بذاتها ولكنها دالة على صدق من جاء بها"[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند آية الفرقان: "ثم قال تعالى منكراً على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ ؟ [الفرقان: ٦٠] أي: لا نعرف الرحمن. وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال صلى الله عليه وسلم للكاتب: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم[4]. ولهذا أنزل الله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، أي:هو الله وهو الرحمن. وقال في هذه الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ ؟ أي: لا نعرفه ولا نقر به"[5].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص (٣٠٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد (٥/٣٢٩) فتح الباري.

(٣) التحرير والتنوير (١٣/١٤١).

(٤) ورد بمعناه بألفاظ متعددة منها الحديث السابق. انظر: الحاشية (٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/١٢٩).

٢- أن يؤتى بهذا الاسم الكريم عند ذكر استوائه تعالى على العرش.

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وذلك أن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها وكذلك رحمته تعالى قد أحاطت بالمخلوقات ووسعتهم قال سبحانه: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال ابن القيم: "يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي)[١]، وفي لفظ (فهو عنده على العرش)[٢]. فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩] ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم"[٣].

٣- أن يؤتى به في معرض ذكر عظيم جرم الكفرة والمشركين الذين ينسبون إليه

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله برقم (٦٩٦٩) عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: (فهو عنده فوق العرش)، وفي لفظ: (فهو موضوع عنده) رقم (٦٩٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨] برقم (٧٤٠٤) عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: (وهو وضع عنده على العرش).

(٣) مدارج السالكين (٣٣/١)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص(٣١٧).

تعالى الولد، ويزعمون - افتراء عليه- أن بعض خلقه أولاد له، فيذكر هذا الاسم الكريم في هذا السياق للدلالة على أنه تعالى لولا اتصافه بصفة الرحمة التي وسعت كل شيء لعاجلهم بالعقوبة على هذا البهتان العظيم والفرية الشنيعة ولكن لرحمته أمهلهم لعلهم يتوبون ويستغفرون، ويلاحظ أنه في سبعة مواضع ذكر فيها نسبة الولد إليه تعالى يؤتى بهذا الاسم الكريم، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

إن هذه الآيات تعرض مدى كفر هؤلاء المشركين، وجرأتهم على مقام الرب تبارك وتعالى، هذا الرب الرحيم الذي لولا رحمته بهم لهلكوا جميعاً، فلم يزالوا يتقلبون في آثار رحمته تعالى التي أنزلها لهم وأمدهم بها، ثم يقولون مقالتهم العظيمة ومع ذلك لا يعاجلهم بالعقوبة إنما يمهلهم ويُنظرهم لعلهم يتوبون ويؤوبون.

إن الآيات تبرز جانبين من خلال ذكر هذا الاسم الكريم في هذا السياق:

الأول: أنهم ينسبون هذه الفرية والبهتان العظيم إلى من وسعتهم رحمته بل ووسعت كل شيء، وما بهم من نعمة فمنه تعالى ، فهو الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأمدهم بالخيرات وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، ولذا قال سبحانه في معرض رد فريتهم: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ فالقدوم يوم القيامة على رحمن رحيم، ولولا رحمته لهلك الخلق كلهم.

الثاني: أنه تعالى لا تصافه بهذه الصفة العظيمة فإنه لا يعاجلهم بالعقوبة على ما اقترفوه وما زعموه وإنما يمهلهم ويُنظرهم.

إن ما أتوه من الكفر والإلحاد أمر عظيم تكاد أن تتفطر له السموات، وأن تنشق

له الأرضون، وأن تنهد له الجبال الرواسي، وهم به مستحقون للعقوبة البالغة والعذاب الأليم، و لم يحل بينهم وبين ذلك إلا اتصافه تعالى بصفة الرحمة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال جل في علاه: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ ﴾ [الزخرف: ١٧-٢٠].

ما أكفر هذا الإنسان الجهول الظلوم حين ينسب إلى الله تعالى من البنات ما يكرهه لنفسه ويظل وجهه مسوداً حين يبشر به، وما أرحم الرحمن الرحيم الذين ينسب إليه هؤلاء ما يترهون عنه أنفسهم ثم هو سبحانه لا يعاجلهم بالعقوبة ولا يبغتهم بالعذاب.

٤- أن يؤتى به في معرض ذكر عموم نعمته ومنته على جميع خلقه وتيسير أمورهم وحفظهم مما يخافون كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

فلا حافظ يحفظهم ولا كالئ يكلؤهم في جميع الأوقات إلا الإله الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء حتى من عصاه وكفر به.

ويقول سبحانه في بيان إتقانه لخلق السموات السبع: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣]، "والتعبير بوصف (الرحمن) دون اسم الجلالة إيماء إلى أن هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس لتجري أمورهم على حالة تلائم نظام عيشهم،

لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سبباً لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٥]"[١].

ورحمته تعالى ليست للمكلفين فقط بل هي لجميع خلقه من الطيور والدواب والوحوش وغيرها قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩]. فلرحمته تعالى منح الطيور هذه القدرات وحفظها وهي في الجو من السقوط ولذلك جيء بهذا الاسم الكريم في هذا الموضع وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عبـــاده يوم القيامة)[٢]، وفي لفظ: (وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)[٣].

ولعل في اختيار هذا الاسم الكريم دون غيره في هذا السياق فائدة أخرى وهي الإشارة إلى أن تأخير العذاب عن هؤلاء الأقوام المكذبين الذين جاءت الآيات لتوقظ قلوبهم وعقولهم إلى وجوب إفراده تعالى بالعبادة لاتصافه بالرحمة إذ لولا ذلك لعاجلهم بالعقوبة والعذاب.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/٢٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، برقم (٦٩٧٤) عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الموضع السابق عن أبي هريرة برقم (٦٩٧٢).

يقول ابن القيم رحمه الله : "تأمل قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ كيف جعل الخلق والتعليم ناشئاً عن صفة الرحمة متعلقاً باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨] فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما أخلي منه نزعت منه البركة"(١).

ويقول ابن عاشور رحمه الله : "افتتح باسم (الرحمن) فكان فيه تشويق جميع السامعين إلى الخبر الذي يخبر به عنه إذ كان المشركون لا يألفون هذا الاسم قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠] فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من الخبر عنه، والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشرفوا لما سيرد من الخبر المناسب لوصفه هذا مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته ... وأوثر استحضار الجلالة باسم (الرحمن) براعة استهلال .. وقد عدد الله في هذه السورة نعماً عظيمة على الناس كلهم في الدنيا، وعلى المؤمنين خاصة في الآخرة، وقدم أعظمها وهو نعمة الدين لأن به صلاح الناس في الدنيا، وباتباعهم إياه يحصل لهم الفوز في الآخرة، ولما كان دين الإسلام هو أفضل الأديان، وكان هو المترل للناس في هذا الإبان، وكان متلقى من أفضل الوحي والكتب الإلهية وهو القرآن، قدمه في الإعلام وجعله مؤذناً بما يتضمنه من الدين ومشيراً إلى النعم الحاصلة بما بين يديه من الأديان كما قال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٩٢].

ومناسبة اسم (الرحمن) لهذه الاعتبارات منتزعة من قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ا.هـ"(٢).

وفي الآخرة حين يذكر جل وعلا قدوم خلقه عليه فإنه يذكر أنهم يقدمون على

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ص (٣١٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/٢٣٠)، وانظر: روح المعاني (٢٧/١٥١).

الرحمن كما قال سبحانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٣-٩٥] إن في إبراز هذا الاسم الكريم (الرحمن) دون لفظ الجلالة إظهاراً لما تضمنه من صفة الرحمة وأن خلقه سينالهم مقتضى هذه الصفة، مما هو مشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم: (وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)[1].

٥- أن يؤتى به في معرض ذكر فضل الله تعالى على عباده المؤمنين وعظيم كرمه عليهم، ويكون في ذكر هذا الاسم الكريم إشارة إلى أن ما بهم من النعم فإنما هو محض فضل منه تعالى ورحمة ليس بأعمالهم، وأعظم هذه النعم وأجلها نعمة الهداية إلى الإيمان وإنزال القرآن كما قال سبحانه: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ١-٣].

قال الآلوسي: "وإضافة التتريل إلى (الرحمن الرحيم) من بين أسمائه تعالى للإيذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]"[2].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٢] لما ذكر تعالى إنزال الذكر جيء بهذا الاسم الكريم إشارة إلى أن إنزاله إنما هو رحمة منه تعالى بعباده قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء: ٥] إن هذا الذكر رحمة لهم لأنه قد جاءهم من الرحمن الرحيم، ولكنهم لجهلهم عن رحمة ربهم معرضون ولها دافعون.

وفي الآخرة إذا كان قدوم جميع الخلق على الرحمن الرحيم: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] فإن أسعد الناس بهـذه

(١) سبق تخريجه .

(٢) روح المعاني (١٤٦/٢٤).

الرحمة هم المؤمنون الذين عبدوه وأخلصوا لــه: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مـريم: ٨٥-٨٦] هـؤلاء المتقـون يحشرون إلى رهم لينالوا من رحمته، وأما المجرمون فإن مصيرهم إلى جهنم.

وفي القيامة يأذن الرحمن للمؤمنين أن يشفعوا وأن يُشفع فيهم قال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨].

إن مما يستدعي النظر والتأمل أنه في بعض المواضع التي تعرض شيئاً من مواقف القيامة التي تجل لها القلوب حتى تكاد تنخلع من صدورها ويعتور السامع فيها من الرهبة والفزع ما الله به عليم يأتي التصريح بهذا الاسم الكريم وما ذاك -والله أعلم- إلا تطميناً لأهل لإيمان وأرباب التقوى وإيماء إليهم أنهم في مثل هذه المواضع من الآمنين وعند اشتداد الكروب من المطمئنين يقول سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٩].وقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

ذلك اليوم وإن كان على الكافرين شديداً عسيراً، فإنه على المؤمنين هيناً يسيراً لأنهم سيفدون على ربهم الرحمن وهو المالك المتصرف ذلك اليوم دون من سواه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧-٩].

ثم يكون ختام هؤلاء الأبرار أن يدخلهم الجواد الكريم رحمته التي قال فيها: " أنت الجنة رحمتي أرحم فيك من أشاء" [1]، يقول سبحانه وتعالى﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٠-٦٣].

وإن رحمته تعالى بعباده المؤمنين ليست قاصرة على الدار الآخرة بل إلهم في الدنيا يتقلبون في أنواع من نعمه وأصناف من رحمته ومنها أنه تعالى يحبهم ويحببهم إلى عباده قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦].قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين"[2].

لهذا وذاك كان المؤمنون يعلنون إيمانهم بربهم الرحمن ويتوكلون عليه لأنهم يرون ما بهم من آثار رحمته تعالى، ورجاء أن يتترل عليهم المزيد منها، قال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الملك: ٢٩].

٦- أن يأتي التصريح بهذا الاسم الكريم في معرض ذكر خشية المؤمنين وخوفهم منه كما في قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ۝ ﴾ [مريم: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ برقم (٤٨٥٠)، ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٧١٧٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٧٣/١٣)، وانظر: الدر المنثور (١٤٦/١٠).

وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]، وقال جل وعلا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣١-٣٣].وفي التصريح بهذا الاسم الكريم فوائد منها:

- الإشارة إلى ما في قلوب هؤلاء الأبرار من التعبد له تعالى بالخوف والرجاء.

فرغم أنه تعالى رحمن من صفته الرحمة إلا أنهم يخشونه تعالى ويخافون عقابه ولا يأمنون مكره قال ابن عاشور رحمه الله : "وفي إيثار اسمه (الرحمن) في قوله:﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ دون اسم الجلالة للإشارة إلى أن هذا المتقي يخشى الله وهو يعلم أنه رحمن"(١).

- وفي التصريح بهذا الاسم إشارة إلى أنهم سينالون من آثار هذه الصفة الجليلة التي اتصف بها تعالى فسيعطيهم ما يأملون، ويؤمنهم مما يخافون، وأنه تعالى سيعاملهم بمقتضى هذا الاسم الكريم لا بأعمالهم فهو تعالى سيرحمهم ويكرمهم ويجود عليهم، ولذا أخبر تعالى عن رحمته بهم في آية سورة (يس) –وهي في ذكر صفات من ينتفع بالتذكير- ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، فالمغفرة الإنعام عليهم بتطهيرهم مما يضرهم، والأجر الكريم هو إعطاؤهم ما يسرهم.

وفي سورة (ق) - وهي في بيان مآلهم- قال: ﴿أَوَّابٍ﴾ أي: رجّاع، وقال: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ فلرحمته يوفقهم للتوبة ويقبلها منهم ويعظم لهم جزاءها.

وفي آية (مريم) لما ذكر خوفهم وبكاهم وكان مظنة أن يفهم أن ذلك لأنه إنما أراد بهم شراً أو هلاكاً فناسب أن يذكر الاسم المتضمن للرحمة.

٧- أن يؤتى به في معرض ذكر من عصاه أو أعرض عن أمره تطميعاً له للعودة إليه تعالى والتوبة من مخالفته. قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٠].

(١) التحرير والتنوير (٣٢٠/٢٦).

فهؤلاء أقوام قد عصوا ربهم وعبدوا العجل فجاء الخطاب إليهم بأن ربكم وإلهكم وخالقكم هو الرحمن الذي إن عدتم إليه وتركتم معصيته فإنه سيرحمكم ويكفر سيئاتكم ويمن عليكم بفضله في الدنيا والآخرة.

ولعل هذا الملحظ -والله أعلم- هو من أسباب التصريح بهذا الاسم الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٣] ليكون باعثاً لمن خالف أمره وكفر به أن يراجع ربه ويؤوب إلى رشده مادام في الأجل فسحة وفي العمر بقية، فإنه إن تاب فإنما يتوب إلى ربه الرحمن الرحيم الذي يقبله فيغفر ذنبه ويكفر سيئاته ويعظم له أجراً.

٨- أن يأتي التصريح بهذا الاسم في معرض تهديد الكافرين المكذبين وبيان ما لهم من العذاب والنكال ليبين أن ما أصابهم فإنما هو باستحقاقهم وسوء فعالهم إذ هو صادر ممن صفته الرحمة جل وعلا، ولكنهم قد بلغوا بسوء صنيعهم مبلغاً من الإثم عظيم استحقوا هذا العذاب والنكال من الرحمن الرحيم، يقول تعالى في ذكر موعظة إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥] فإبراهيم عليه السلام يحذر أباه أن ينزل عليه العذاب من الرحمن، ذلك أنه قد بلغ من الكفر والجحود مبلغاً استحق معه أن ينزل عليه العذاب من الرب الرحيم، ولذا لم يقل: من الجبار أو المنتقم وإنما الرحمن، فإذاً ما أصابك أو يصيبك فإنما هو بسوء صنيعك وبما كسبت يداك إذ بلغت مبلغاً استنزلت به العذاب من الرحمن جل في علاه.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

ما أجهل هذا العبد الضعيف حين يعرض عن ذكر الرحمن الذي تتنزل رحمته آناء

الليل والنهار ويوالي عدوه الشيطان، ولذا فإن من اختار هذا المسلك فإنما يجني على نفسه إذ إن ما أصابه فبما كسبت يداه إذ هو من أعرض عن الرحمة واستمطر العذاب ممن صفته الرحمة جل وعلا.

ويقول سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٦٨-٦٩]. **وفي إبراز هذا الاسم الكريم هنا فوائد منها:**

* أنهم عتوا على الرحمن الذي أمدهم بالنعم، وخلقهم من العدم، ووالى عليهم كرمه وفضله جل وعلا.
* أن ذلك إنما أصابهم لأنهم بلغوا من العتو والكفر مبلغاً عظيماً استحقوا معه أن يعاقبهم الرحمن جل وعلا، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، نعم لقد استمطروا عذاب الله واستترلوا عقوبتهم بما بلغوا من الكفر والضلال.

إن رحمة الله ليست ضيقة وإن فضله ليس بقاصر ولكن هؤلاء المجرمون قد بلغوا من الضلال والعناد مبلغاً حتى اقتضت حكمة الله تعالى أن يترل عليهم بأسه وعذابه.

٩- أن يذكر هذا الاسم الكريم في معرض التوسل به رجاء أن يترل الله تعالى من رحمته على عباده كما في قوله جل وعلا في قصة مريم: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٧-١٨]. قال الطاهر بن عاشور رحمه الله : "وذكرها صفة (الرحمن) دون غيرها من صفات الله لأنها أرادت أن يرحمها الله بدفع من حسبته داعراً[١] عليها"ا.هـ[٢].

ومنه قوله تعالى في ذات القصة: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] ذلك أن مريم عليها السلام كانت في كرب وشدة فقد أتت بولد دون زوج فأمرها الله تعالى إن لقيت أحداً من البشر أن تقول: إني نذرت

---

(١) الداعر: الفاسق الفاجر الخبيث. انظر: لسان العرب (دعر) (٢٨٦/٤).

(٢) التحرير والتنوير (٨١/١٦).

للرحمن صوماً، ففيه تطمين لها بأن ربها الرحمن لن يخليها من رحمته ولن يكلها إلى نفسها.

١٠- تشريف المؤمنين بإضافتهم إلى هذا الاسم الكريم المتضمن لصفة الرحمة والتي سبقت غضبه جل وعلا كما في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]. وإنه لتكريم وأي تكريم أن يضاف هؤلاء العباد الضعفاء إلى ربهم الرحمن بهذه الصفة التي هي من أجل صفاته وأكرم نعوته.

كما أن هذه الآية فيها مناسبة للسياق، ذلك أن الآية ذكرت عن هؤلاء المؤمنين ما اتصفوا به من الرحمة بالخلق فهم يمشون على الأرض هوناً ودون تجبر وكبرياء، لا يمارون السفهاء أو يردون عليهم السيئة بمثلها فناسب إضافتهم إلى هذا الاسم الكريم.

وفي التصريح بهذا الاسم مناسبة أخرى وهي أن هذه الآية جاءت بعد الآيات التي ذكرت إنكار الكفار لاسم (الرحمن) وجحودهم له، قال سبحانه:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠] فجاءت الآيات لتقول هاهم عباد الرحمن الذين يعرفون الرحمن ويستحقون أن ينسبوا إليه وأن يكونوا من عباده.

١١- أن يأتي التصريح بهذا الاسم للتعليل لما يستحقه تعالى من الحمد كما قال سبحانه في أول آية من القرآن: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١-٢] فالحمد كله أوله وآخره ومبدأه ومنتهاه ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وهذه الأسماء الحسنى سيقت مساق التعليل لاستحقاقه الحمد -جل وعلا- فإن الرب الذي خلق الخلق من العدم، ورباهم بالنعم، وكلأهم وحفظهم ونشأهم من حال إلى حال هو المستحق للحمد دون سواه.

"فإن قلت: إن الربوبية تقتضي الرحمة لأنها إبلاغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وذلك يجمع النعم كلها، فلماذا احتيج إلى ذكر كونه رحماناً؟ قلت: لأن الرحمة

تتضمن أن ذلك الإبلاغ إلى الكمال لم يكن على وجه الإعنات بل كان برعاية ما يناسب كل نوع وفرد ويلائم طوقه واستعداده، فكانت الربوبية نعمة، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى، فأتبع ذلك بوصفه بالرحمن تنبيهاً على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج، حتى أحكام التكاليف والمناهي والزواجر فإنها مرفوقة باليسر بقدر ما لا يبطل المقصود منها"[(١)].

المبحث الثاني: مناسبة ذكر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة في ختام الآيات:

مضى لنا أن أكثر الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة وروداً في ختام الآيات هو اسم (الرحيم) ثم اسمي (الرؤوف، الرحمن) ولم يرد (الرحمن) في ختام الآيات إلا مقروناً بـــ(الرحيم)، وأما (الرؤوف) فجاء في ثمانية مواضع مقروناً بـــ(الرحيم) وفي موضعين بقوله: ﴿ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [(٢)].

وسأقف مع بعض المناسبات الإجمالية في ختم الآيات بهذه الأسماء الكريمة دون الوقوف مع كل آية على سبيل التفصيل لأن هذا أمر يطول، فأقول وبالله التوفيق:

١- أن يخبر تعالى عن توبته على بعض عباده ومغفرته ذنوبهم -بأعيانهم أو بأوصافهم- ثم تختم الآية بهذا الاسم الكريم ومناسبة ذلك بيان علة التوبة والمغفرة فإنه لرحمته بهـــم وفقهم للتوبة وقبلها منهم[(٣)]، يقول تعـــالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ [البقرة: ٥٤] ويقول سبحانه: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) التحرير والتنوير (١/١٧٣).

(٢) راجع الفصل الأول .

(٣) انظر: القواعد الحسان ص(٦١).

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩]، ويقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٧]، ويقول سبحانه: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨]، ويقول سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي: ﴿ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم ... ومعنى المبالغة في ﴿ ٱلتَّوَّابُ ﴾ أنه الكثير القبول للتوبة ... وتعقيبه بالرحيم لأن الرحيم جار مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم ... إلخ"[(١)].

٢- أن يأتي الأمر بالاستغفار والتوبة ثم تختم الآية بذكر هذا الاسم الكريم (الرحيم) ومناسبة ذلك بيان أنه تعالى إنما أمرهم بذلك لرحمته بهم لأن من كان شأنه الرحمة فإنه لا يرد داعيه ولا يخيب راجيه ولا يبعد من التجأ إليه. يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ويقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة: ٧٤]، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠]، ويقول جل في علاه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

(١) التحرير والتنوير (٤٣٩/١).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور: ٦٢].

٣- أن يؤتى بهذا الاسم الكريم في ختام الآية دليلاً لإثبات ألوهيته ووحدانيته وأحقيته بالتفرد بالعبادة والطاعة كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]. ففي هذه الآية إخبار بأن إلههم ومعبودهم واحد، ثم جاء التأكيد مرة أخرى بقوله: ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ثم جاء ختام الآية بـــ: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ كالدليل على ألوهيته وانفراده بالعبادة ذلك أنه رحيم منعم وغيره ليس كذلك ومن كانت له هذه الصفات كان حقيقاً أن يفرد بالعبادة دون من سواه.

قال البيضاوي رحمه الله (ت ٦٨٥هـــ): " ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ كالحجة عليها – على: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ – فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها، وسواه إما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره"[(١)].

وقال ابن عاشور رحمة الله : "وفيهما تلميح إلى دليل الألوهية والانفراد بها لأنه منعم، وغيره ليس بمنعم"[(٢)].

ويقول تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١-٢]، فذكر تعالى أن الحمد كله له وحده ثم ذكر الدليل على ذلك وهو أنه ﴿ رَبِّ

---

(١) تفسير البيضاوي (١/٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٧٥).وانظر: نظم الدرر (٢/٢٨١)،روح المعاني(٢/٤٥)، صفوة الآثار والمفاهيم (٢/٤٥٢).

﴿ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فلأنه رب العالمين ولأنه المتصف بالرحمة الكاملة والذي شملت رحمته جميع خلقه كان مستحقاً للحمد سبحانه وبحمده.

قال الآلوسي رحمة الله : "وذكرهما –أي: الرحمن الرحيم– هنا تعليل لاستحقاقه تعالى الحمد"(١).

٤- أن يذكر في الآية رفع الإثم عمن فعل فعلاً ما إما خطأ أو في حال اضطرار أو قبل النهي أو نحو ذلك فيؤتى في ختام الآية بهذا الاسم الكريم، لأن من كان متصفاً بصفة الرحمة فلا جـرم أن يغفر ويتجاوز ويعفو ويرحم كما قـال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وقال سبحانه:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ... وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ٢٢-٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥].

ولعلي هنا أقف وقفة مع مناسبة الجمع بين هذين الاسمين الكريمين (الغفور، الرحيم) ومناسبة تقديم (الغفور) على (الرحيم) فأقول وبالله التوفيق:

أ- في الجمع بين هذين الاسمين إشارة إلى أن أعظم آثار رحمته الرحمة الدينية التي تتضمن مغفرة السيئات وتكفير الخطيئات.

---

(١) روح المعاني (١٣٧/١).

ب- وتقديم (الغفور) على (الرحيم) من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

ج- كما أنه من قبيل قاعدة (التخلية قبل التحلية)[1] فإنه لما كانت الرحمة تتضمن ما يفيض عليهم من النعم وما يتفضل به عليهم من الرزق الكريم، كان ذكر مغفرة الذنوب وإزالة السيئات الضارة بهم قبل ذكر الرحمة هو الأنسب.

د- كما أنه تعالى إنما غفر لهم لأنه رحيم بهم فالرحمة علة للمغفرة وشأن العلة أن تذكر بعد الحكم، قال ابن عاشور رحمه الله : "وترتيب (رحيم) بعد (غفور) لأن الرحمة أصل للمغفرة، وشأن العلة أن تورد بعد المعلّل بها" ا.هـ[2].

٥- أن تذكر الآية عملاً من الأعمال وتسكت عن جزائه، ثم يؤتى بهذا الاسم الكريم في ختام الآية دليلاً على أن من قام بهذا العمل فقد نالته رحمة الله تعالى ووسعته مغفرته. يقول تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ويقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٩]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المجادلة: ١٢].

ويقول سبحانه بعد ذكر المحرمات من المطعومات:﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ

---

(١) انظر: روح المعاني (١٤/١٧٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٦/٢٦٦).

﴿مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة: ٣].

يقول ابن عاشور رحمه الله : "ووقع قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مغنياً عن جواب الشرط لأنه كالعلة له، وهي دليل عليه، والاستغناء بمثله كثير في كلام العرب وفي القرآن، والتقدير: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فله تناول ذلك إن الله غفور، كما قال في الآية نظيرها ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] ا.هـ."[١].

إن هذا الختام للآيات يفيد فائدتين:

١- أنه دليل على المحذوف، مبين لحقيقته ومعناه.

٢- أنه تعليل لذلك المحذوف، فهؤلاء يغفر الله لهم ويرحمهم لأنه غفور رحيم.

بل إن في بعض هذه الآيات تعليماً للمؤمنين أن يعاملوا هؤلاء على مبدأ الرحمة والصفح، وذلك أن من عفى الله عنه ورحمه فحريٌّ بالمؤمن أن يعامله بذلك.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩١-١٩٢].يقول ابن عاشور رحمه الله : "وقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي فإن انتهوا عن قتالكم فلا تقاتلوهم؛ لأن الله غفور رحيم، فينبغي أن يكون الغفران سنة المؤمنين، فقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جواب الشرط، وهو إيجاز بديع، إذ كل سامع يعلم أن وصف الله بالمغفرة والرحمة لا يترتب على الانتهاء فيعلم أنه تنبيه لوجوب المغفرة لهم إن انتهوا بموعظة، وتأييد للمحذوف، وهذا من إيجاز الحذف" ا.هـ."[٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا

---

(١) التحرير والتنوير (١١٠/٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠٦/٢).

أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

إن الآية لا تنص على حكم هؤلاء المحاربين الذين تابوا قبل القدرة عليهم، ولكنها تختم بهذين الاسمين الكريمين إشارة إلى أنهم ستنالهم رحمة الله ومغفرته، وفيه تعليم للمؤمنين أن يعاملوهم بالرحمة والمغفرة، قال ابن سعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ): " ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ لم يقل: فاعفوا عنهم، أو اتركوهم ونحوها، بل قال: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني فإذا عرفتم ذلك وعلمتموه عرفتم أن من تاب وأناب فإن الله يغفر له ويرحمه فيدفع عنه العقوبة ويمده بالقوة على الطاعة فكذلك فاعفوا عنه إذا استحق العفو"[(١)].

٦- أن تخبر الآية عن عظيم رجاء المؤمنين لرحمته وطمعهم فيما عنده ثم تختم هذا الاسم الكريم (الرحيم) ومناسبة ذلك الإشارة إلى نيلهم ما يرجونه وحصول ما يؤملونه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

٧- أن يذكر في الآية عميم نعمة الله تعالى على عباده وواسع فضله وكرمه ثم تختم الآية بهذا الاسم الكريم قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] ومناسبة ختم الآية بهذا الاسم الكريم لحكم منها:

١- أنه تعالى لرحمته بهم أمدهم بهذه النعم التي يعجزون حتى عن مجرد إحصائها.

٢- أنه تعالى لا يرفع عنهم هذه النعم ولا يعاملهم بالعقوبة مع عصيانهم ومخالفتهم وعدم إحصائهم هذه النعم وذلك لأنه تعالى رحمن رحيم،

---

(١) القواعد الحسان، ص (٦٤).

فختام الآية فيه إشعار بالتعليل.

قال الآلوسي رحمه الله : " ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ ﴾ حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من أصناف الكفر والعصيان التي من جملتها المساواة بين الخالق وغيره، وكل من ذينك الستر والإفاضة نعمة وأي نعمة، فالجملة تعليل للحكم بعدم الإحصاء وتقديم المغفرة على الرحمة لتقدم التخلية على التحلية" ا.هـ.[1].

وإذا أردت أن يتضح لك هذا المعنى فاجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فهذه الآية تشرح حال الإنسان وتبين موقفه تجاه نعمة ربه وأنه ظالم لنفسه كافر بربه ونعمته، والآية الأخرى تذكر صفة الرب الكريم المنعم الذي لا يعاجل بالعقوبة، ولا يأخذ بالجريرة، وإنما يعفو ويغفر، وينعم ويرحم. قال ابن عاشور رحمه الله : "من اللطائف أن قوبل الوصفان اللذان في آية سورة إبراهيم ﴿ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] بوصفين هنا ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] إشارة إلى أن تلك النعم كانت سبباً لظلم الإنسان وكفره، وهي سبب لغفران الله ورحمته"[2].

٨- أن يذكر في الآية نعمته على عباده بإرساله رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن ثم تختم الآية بالاسم الدال على الرحمة، ومناسبة ذلك للدلالة على أن هذا الإرسال وذلك الإنزال إنما هو برحمة الله جل وعلا، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ويقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ

(١) روح المعاني (١٤/١٧٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/١٢٤).

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥-٦].

وفي ختم الآية بهذا الاسم مناسبة أخرى وهي أنه تعالى لرحمته أمهل هؤلاء المكذبين المعاندين فلم يعاجلهم بالعقوبة و لم يبغتهم بالعذاب.

ويقول سبحانه: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾ [يس: ١-٥]، ويقول سبحانه: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١-٢].

يقول الفخر الرازي رحمه الله (ت ٦٠٤هـ): "وثانيها: كون ذلك التتريل من الرحمن الرحيم، وذلك يدل على كون ذلك التتريل نعمة عظيمة من الله تعالى لأن الفعل المقرون بالصفة لابد وأن يكون مناسباً لتلك الصفة فكونه تعالى رحماناً رحيماً صفتان دالتان على كمال الرحمة، فالتتريل المضاف إلى هاتين الصفتين لابد وأن يكون دالاً على أعظم وجوه النعمة؛ والأمر في نفسه كذلك؛ لأن الخلق في هذا العالم كالمرضى والزمنى والمحتاجين، والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية وعلى كل ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية، فكان أعظم النعم عند الله تعالى على أهل هذا العالم إنزال القرآن عليهم".ا.هـ.[1].

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢] وانظر كيف خص تعليم القرآن بهذا الاسم الكريم المتضمن لصفة الرحمة[2].

ومن رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن يحفظ عليهم دينهم، ويصون مجتمعهم وجماعتهم من الانحراف والتفرق، وأن يدرأ عنهم شرور أعدائهم، سواء كانوا منافقين أو كفاراً ظاهرين، يقول تعالى في خاتمة آيات الإفك: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ

(١) التفسير الكبير (٢٧/٢٨٢).

(٢) راجع ص (٢٣٩).

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٠] وفي حذف جواب (لولا) من المهابة والتعظيم ما ليس في ذكره فإنه لولا رأفته ورحمته وفضله وكرمه لاتبعتم الشيطان، وعصيتم الرحمن، وحصل للأمة اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها، وانفصام عرى وحدتها، وغير ذلك من أنواع البلايا والمصائب التي حال دون وقوعها بكم رحمته وفضله.

٩- أن يذكر في الآية عظيم نعمته تعالى على عباده، وما يسره لهم في الأرض مما هو أثر من آثار رحمته ثم تختم الآية بهذا الاسم الكريم ومناسبة ذلك الإشارة إلى أن هذه النعم من رحمته تعالى بعباده، وأنه ينعم عليهم رغم إقامتهم على معصيته وتقصيرهم في حقه، وعجزهم عن شكره وما ذاك إلا لرحمته تعالى وإلا لرفع عنهم النعم وأحلّ بهم النقم.

يقول تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧].ويقول سبحانه:﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٥-٧].

يقول ابن عاشور رحمه الله : "وجملة ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ تعليل لجملة ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾ أي خلقها لهذه المنافع لأنه رؤوف رحيم بكم" ا.هـ.[(١)]

ويقول سبحانه: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٦].

ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/١٠٧).

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

١٠- أن يذكر في الآية حلمه على عباده وإمهاله لهم رغم أنهم يلجون بالطغيان ويتمادون في المعصية ثم تختم الآية بهذا الاسم الكريم ومناسبة ذلك بيان أن إمهاله لهم إنما هو رحمة منه وفضل، ولولا ذلك لأنزل عليهم بأسه ورجزه كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

إنه تعالى لم يترل عليهم هذه الأنواع من العذاب لأنه بهم رؤوف رحيم، فهذا الختام تعليل لمضمون الآية من أنه تعالى قادر على إهلاكهم بأي وجه لكنه تعالى لم يفعل لأنه رؤوف رحيم(١).

١١- أن يذكر في الآية رحمته تعالى وعذابه ثم تختم الآية بهذا الاسم الكريم، ومناسبة ذلك الدلالة على أن رحمته تعالى سبقت غضبه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم ٣٥-٣٦] و لم يقل: ومن عصاني فإنك شديد العقاب، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩]،ويقول تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٤]، ويقول

(١) انظر: أنوار التتريل (١/٥٤٦)، روح المعاني (١٤/٢٢٦)، التحرير والتنوير (١٤/١٦٧).

سبحانه: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وقريب من هذا قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۞ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فقدم تعالى ذكر الرحمة على ذكر العذاب، وجيء بالرحمة بما هو اسم له تعالى متضمن لأعظم صفاته وفي العذاب ذكر عذابه و لم يذكر صفة له.

وهكذا جميع المواضع التي تذكر فيها رحمته تعالى وعذابه فإنها تختم بذكر رحمة الله تعالى أو تختم بعموم قدرته جل وعلا كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ٤٠]، ولا تختم بذكر العقاب والعذاب، وما ذاك إلا لأنه ذو رحمة واسعة وأن رحمته غلبت غضبه.

١٢- أن يذكر أحوال الرسل عليهم السلام وأحوال الأمم المكذبة، ثم تختم الآية أو الآيات بهذا الاسم الكريم، كقوله تعالى في ثمانية مواضع من سورة الشعراء بعد ذكر الأنبياء مع أقوامهم:﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1]، ومناسبة ذلك من وجهين -والله أعلم-:

١- بيان رحمته تعالى برسله وأوليائه حيث نصرهم ومكن لهم وعصمهم من أعدائهم وجعل العاقبة لهم[2].

٢- رحمته تعالى بهؤلاء المكذبين حيث لم يعاجلهم بالعذاب وإنما أمهلهم لعلهم يشكرون أو يتوبون[3].

---

(١) الشعراء (٨-٩) (٦٧-٦٨) (١٠٣-١٠٤) (١٢١-١٢٢) (١٣٩-١٤٠) (١٥٨-١٥٩) (١٧٤-١٧٥) (١٩٠-١٩١).

(٢) انظر: القواعد الحسان ص(٦٨).

(٣) انظر: نظم الدرر (١٢/١٤)، التحرير والتنوير (١٩/١٠٢).

"ولما كان الموضع موضع بيان القدرة قدم صفة العز على صفة الرحمة، فالرحمة إذا كانت عن قدرة كانت أعظم وقعاً"[1].

١٣- أن يذكر هذا الاسم الكريم بعد الأمر بالتوكل على الله كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢٢٠].

ومناسبة ذلك الإشارة إلى أنه برحمته يمنعك من أعدائك وينصرك عليهم ويحفظك من مكرهم ويمنحك ما ينفعك من أنواع الخير كلها.

وجمع بين هذين الاسمين (العزيز الرحيم) ليبين أنه يتوكل على إله (عزيز) يمنعه من الشر (رحيم) يوصل إليه الخير، وفيه تعليم للمؤمن أن يستحضر اتصافه تعالى بهذه الصفات العظيمة فإنه أقوى لتوكله وأعظم لتفويضه، ولما كان المقام مقام حفظ من الكافرين المكذبين الذي يريدون الوقيعة به قدم العزة على الرحمة. والله أعلم.

١٤- أن يذكر هذا الاسم الكريم بعد ذكر ما أعد تعالى لعباده المؤمنين في الجنة من الكرامة والنعيم ومناسبة ذلك الإشارة إلى أن ما هم من النعمة والخير فهو برحمة الله وفضله لا بأعمالهم يقول تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

"وتنوين ﴿ رَّبٍّ ﴾ للتعظيم، ولأجل ذلك عدل عن إضافة ﴿ رَّبٍّ ﴾ إلى ضميرهم، واختير في التعبير عن الذات العلية بوصف الرب لشدة مناسبته للإكرام

---

(١) البحر المحيط (٧/٣)، وانظر: مدارج السالكين (٣٦/١).

والرضى عنهم بذكر أنهم عبدوه في الدنيا فاعترفوا بربوبيته"[1].

وجيء باسم (الرحيم) للدلالة على أن ما صاروا إليه من النعيم فإنما هو برحمته تعالى.قال الآلوسي رحمه الله : "وفصل الجملة –على ما قيل- لأنها كالتعليل لما تضمنته الآي قبلها، فإن سلام الرب الرحيم منشأ كل تعظيم وتكريم"ا.هـ.[2].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] "أي: ضيافة وعطاء وإنعاماً من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رؤوف، حيث غفر وستر، ورحم ولطف"[3]، فسوق هاتين الصفتين بمثابة التعليل لما هم فيه من النعيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن ينجي أحداً منكم عمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"[4].

وقد أخبر الله تعالى عن قول أهل الجنة فقال سبحانه: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨] "وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ قرأه نافع (ت١٦٩هـ)

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/٤٤).

(٢) روح المعاني (٢٣/٥٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/١٦٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٣)، ومسلم، كتاب التوبة، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى برقم (٧١١١).

والكسائي (ت١٨٩هـ) وأبو جعفر (ت ١٢٨هـ) بفتح الهمزة (أنه)[1] على تقدير حرف الجر محذوفاً حذفاً مطرداً مع (أنَّ) وهو هنا اللام تعليلاً لـ(ندعوه)[2]، وقرأه الجمهور بكسر همزة (إن)، وموقع جملتها التعليل"[3].

١٥- أن يذكر هذا الاسم الكريم بعد النهي عن بعض الأفعال التي تضر بالمؤمنين، ومناسبة ذلك بيان أن الله تعالى إنما ينهاهم عما يضرهم لرحمته بهم.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء: ٢٩].

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ تعليل للنهي عن أكل الأموال بالباطل وإهلاك الأنفس[4].

ورحمته تعالى بنا ليست في هذين الأمرين فحسب، بل كل ما أمرنا به تعالى في شرعه وكل ما نهانا عنه فإنما ذلك لرحمته بنا وهو تعالى ذو الرحمة الواسعة، الذي كتب على نفسه الرحمة جل وعلا.

---

(١) انظر: التيسير، ص(٦٥)، تحبير التيسير، ص(١٨٤).

(٢) انظر: الكشف لمكي (٢/٢٩١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/٥٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/٢٢٩)، البحر المحيط (٣/٢٤٢)، تفسير البيضاوي (١/٢١١)، روح المعاني (٥/٢٤).

فائدة: للمفسرين في المراد بالأنفس في الآية قولان:

الأول: أن الآية على ظاهرها، وهو نهي عن قتل المرء نفسه.

الثاني: أن المراد: لا يقتل بعضكم بعضاً، ونزل الأخ منزلة النفس لأنهم كنفس واحدة، قال بعض أصحاب هذا القول: وهي بعمومها تشمل النهي عن قتل النفس.

وبه قال ابن عباس ﷺ والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي ومقاتل وابن جرير الطبري -ولم يذكر غيره- بل قد ذكر ابن عطية أنه إجماع المتأولين.

انظر: المراجع السابقة (المواضع نفسها)، زاد المسير (٢/٦١)، المحرر الوجيز (٢/٤٢).

وقد أخبر جل وعلا أن رسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه وشرعه ما هو إلا رحمة للعالمين قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].وقال سبحانه: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٧].وقال سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

فبرحمته تعالى هدانا من الضلالة، وعلمنا من الجهالة، وأرشدنا إلى توحيده ومعرفته، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام والصدقة على المساكين والعطف على اليتامى والأرامل، وأمرنا بالصدق والعفة والأمانة، ونهانا عن الربا والغش والظلم والزنا والقطيعة وغير ذلك من شرائع الإسلام التي لو تأملها العاقل لرآها ناطقة برحمة الله تعالى بخلقه في العاجل والآجل.

وحين ذكر الله تعالى بيع الأنفس في سبيله وإرخاصها في الجهاد لإعلاء كلمته ختمها بذكر رحمته، يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

إن تكليف المؤمنين بشعيرة الجهاد بما فيها من بذل للأنفس وإرخاص للمهج في سبيل الله ليس للمشقة عليهم ولا لإعناتهم وإنما هو رحمة بهم؛ ولذا قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ رؤوف بهم "حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشراء، وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء"[(١)]، ورؤوف بهم حيث قبلهم وأوفى لهم الثمن ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ

---

(١) تفسير البيضاوي (١/١١٤).

﴿ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

١٦- أن يأتي هذا الاسم الكريم في معرض التوسل به في الدعاء، إذ التوسل بالأسماء الحسنى من أقوى الأسباب الجالبة لإجابة الدعاء قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].قال ابن القيم رحمه الله : "الدعاء ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [1][الأعراف: ١٨٠].

والثاني: أن تسأله بحاجتك وفقرك وذلّك، فتقول: أنا العبد الفقير المسكين البائس الذليل ونحو ذلك.

والثالث: أن تسأله حاجتك ولا تذكر واحداً من الأمرين.

فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل، وهذه عامة أدعية النبي صلى الله عليه وسلم"[2].ا.هـ.

وينبغي أن يكون هذا الاسم الذي تدعو الله تعالى به مناسباً لمطلوبك إذ هو أرجى لإجابة الدعاء[3].

وفي القرآن الكريم علمنا الله تعالى هذا الأدب من آداب الدعاء كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].لقد توسل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في دعائهما بهذين الاسمين ، أما التواب فلمناسبة ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ وأما الرحيم فإنه عائد على جميع الدعوات فإنه برحمته يجعلهما وذريتهم مسلمين ويريهم مناسكهم ويتوب عليهم، ولذا أخر هذا الاسم الكريم للترقي من الأدنى إلى

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/٢٩٣)، البحر المحيط (٤/٤٢٧).

(٢) جلاء الأفهام، ص(٧٩).

(٣) انظر: جلاء الأفهام، ص(١٨٨)، القواعد الحسان ص(٦٥)، تصحيح الدعاء، ص(٢٣).

الأعلى، وما توبته تعالى على عباده إلا أثر من آثار رحمته جل في علاه.

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

١٧- أن يُؤمر المؤمنون بالصفح والعفو والمغفرة عمن أساء إليهم ثم تختم الآية بهذا الاسم الكريم، ومناسبة ذلك ترغيب المؤمنين أن يتصفوا بهذه الصفات العظيمة لمحبة الله تعالى لها واتصافه بها وتطميعهم بأنهم سينالهم من رحمة الله ومغفرته لأن الجزاء من جنس العمل.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

روى البخاري ومسلم أن أبا بكر -رضي الله عنه- كان ينفق على مسطح بن أثاثة رضي الله عنه فتكلم فيمن تكلم في حادثة الإفك فلما أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها حلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً فنزلت الآية، فقال أبو بكر رضي الله عنه: "بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع"[(١)].

قال الآلوسي رحمه الله : " ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته سبحانه على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها، وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل: ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته"[(٢)] ا.هـ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ... الآية، رقم (٤٧٥٧)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم (٧٠٢٠).

(٢) روح المعاني (١٨/١٨٥).

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤].

سأل رجل ابن عباس –رضي الله عنهما- عن هذه الآية فقال: "هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله هذه الآية"(١).

قال ابن عاشور رحمه الله : "وجملة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ دليل جواب الشرط المحذوف المؤذن بالترغيب في العفو والصفح والغفر، فالتقدير: وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا يحب الله ذلك منكم لأن الله غفور رحيم أي: للذين يغفرون ويرحمون، وجَمَعَ وصف (رحيم) الخصال الثلاث"(٢).

* * *

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، سورة التغابن، رقم (٣٣١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم (٢/٤٩٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

وانظر: تفسير البغوي (٨/١٤٢)، الدر المنثور (٨/١٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/٢٨٥).

الفصل الثالث : رحمة الله بخلقه في القرآن الكريم (معاني وآثاراً ودلالات) :

في هذا الفصل أعرض للآيات التي ذكرت فيها الرحمة بتصريفاتها المختلفة –عدا الاسم المجرد- سواء كانت فعلاً أو مصدراً أو نحو ذلك، مطلقة أو مضافة إلى الحق تبارك وتعالى، وأحاول أن أذكر ما فيها من معانٍ ودلالات على سبيل الإجمال، فأبدأ بذكر الفائدة ثم أذكر ما يشهد لها من آيات، فأقول وبالله التوفيق:

١- كتب تعالى على نفسه الرحمة كرماً منه وفضلاً :

يقول تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

إن الله تعالى هو الخالق المالك الذي بيده ملكوت كل شيء، ولكنه –فضلاً منه ومنة- قد كتب على نفسه الرحمة، كتبها سبحانه بإرادته وكرمه و لم يوجبها عليه موجب و لم يقتضها من الخلق مقتضٍ ولا عمل(١).

وجانب آخر من جوانب كرمه تعالى وفضله ورحمته يلفت الناظر في هذه الآيات وهو إخباره تعالى لعباده الضعفاء بهذا الكرم العظيم والفضل العميم، إنها عناية الله بعباده وجوده الفياض.

ولذا فلا عجب إذا كانت الرحمة هي القاعدة المستقرة في شرع الله وقدره. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٥٧).

سبقت غضبي)[1].

ورحمة الله تعالى التي كتبها على نفسه ليست فقط لعباده المؤمنين أو الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون، وإنما هي أيضاً لعموم خلقه كلهم إنسهم وجنهم العاقل منهم وغير العاقل، ولذا جاء إخباره تعالى عن كتابة الرحمة على نفسه في الآية الأولى بعد ذكر عموم ملكه لمن في السموات والأرض، فرحمته تعالى شاملة لهم جميعاً، يقول سبحانه: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؟ ثم جاء الجواب: ﴿ قُل لِّلَّهِ ﴾ الذي ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ لهم جميعاً.ففي هذه الآية أخبر عن كتابة الرحمة على نفسه في سياق إخباره عن عموم ملكه وشمول سلطانه.

وفي الآية الأخرى أخبر عن كتابة الرحمة على نفسه في سياق خطابه للمؤمنين، ومن رحمته ما ذكره بقوله: ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤] فمن عمل شيئاً من السيئات بسفه ثم تاب إلى الله فإنه تعالى لا يؤاخذه على تلك السيئات بل يرحمه ويعفو عنه.

٢- رحمته تعالى وسعت كل شيء:

يقول تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

إن عذابه جل وعلا إنما يصيب من يشاء إنها طائفة معينة محدودة من خلقه، إنهم الذين يأبون رحمة الله ويفرون منها، أما رحمته تعالى فهي عامة للجميع واسعة لكل شيء، ولولا رحمته تعالى لهلك الخلق كلهم، بل حتى ما يتصور المرء أنه بلاء وضراء إذا تأمله العبد وجد أن في باطنه من الرحمة والفضل ما لا يكاد يحاط به.

ويخبر تعالى عن طائفة من أعظم خلقه وأجلهم ويذكر توسلهم في دعائهم فيقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ رقم (٧٤٥٣)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى رقم (٦٩٧٠).

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

إنه إن كان علمه تعالى قد شمل كل شيء - فهو تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون-، فإن رحمته –جل في علاه- قد عمّت كل مخلوق ووسعت كل أحد، فرحمته تعالى بالغة ما بلغه علمه، وهذا هو أحد نوعي الرحمة إذ رحمته تعالى على ضربين(١):

الأول: الرحمة العامة، وهي التي تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار منهم.

الثاني: الرحمة الخاصة، وهي للمؤمنين فقط دون غيرهم، وبحسب نصيب الإنسان من الإيمان يناله من رحمة الله تعالى بقدر ذلك.

٣- لولا رحمته تعالى لوقع الإنسان في الهلاك في دينه ودنياه:

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣]، ويقول سبحانه:﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود:٤٣]،ويقول سبحانه:﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، ويقول سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [يوسف:٥٣]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١٤]، ويقول سبحانه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يس:٤١-٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٤٩).

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٠-٤٢].

إن هذه الآيات تبين بوضح وتظهر بجلاء أنه لولا رحمته جل وعلا لوقع الإنسان في أنواع من البلاء والهلاك في دينه ودنياه وأخراه، فلولا رحمته تعالى لضلَّ عن التوحيد، وجهل الحق، واتبع الشيطان، وسار في طريق الغواية، وتسلط عليه أتباع إبليس فكان من الخاسرين في دنياه وأخره.

٤- من لم يرحمه ربه تعالى فهو خاسر:

وهو قريب من الذي قبله، وإنما أفردته لتكرر هذا اللفظ (الخسران) في عدد من المواضع، يقول تعالى: ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤]، ويقول تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، ويقول تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٩]، ويقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧].

٥- ما يتقلب فيه الإنسان من النعم فهو من رحمته تعالى:

ويدخل في ذلك جميع النعم العامة والخاصة، الظاهرة والباطنة.

يقول تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص:٧٣]، ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [الروم:٤٨-٥٠].

إن هذا المطر وما يعقبه من الحياة التي تصيب الأرض ما هو إلا جزء من رحمة واحدة أنزلها الله على عباده في هذه الدنيا، وقد أمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة.

ويقول تعالى: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف:٨٢].وفي إسناد الرحمة إلى الاسم الكريم دون المضمر التأكيد على أن هذه العناية العظيمة التي أصابت الغلامين إنما هي مقتضى ربوبيته تعالى، ومثله في هذا الإسناد – الإسناد إلى لفظ الرب– ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ [الكهف:٩٦-٩٨].

إنَّ ذا القرنين لم يقف أمام هذا العمل العظيم وقفة غرور وإعجاب وغطرسة واستعلاء، وإنما وقف ببصيرة المؤمن معترفاً بكريم فضل الله ورحمته فقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ [الكهف:٩٨].

وقال سبحانه: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم:١-٣].لقد "جاء نظم هذا الكلام على طريقة بديعة من الإيجاز والعدول عن الأسلوب المتعارف في الإخبار، وأصل الكلام: ذكر عبدنا زكريا إذ نادى ربه فقال: رب ... إلخ، فرحمه ربك، فكان في تقديم الخبر بأن الله رحمه اهتمام بهذه المنقبة له، والإنباء بأن الله يرحم من التجأ إليه، مع ما في إضافة (رب) إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وإلى ضمير زكريا من التنويه بهما"[1].

ويقول تعالى في بيان رحمته ببعض عباده بما وهبهم في هذه الدنيا: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ

---

(١) التحرير والتنوير (٦٢/١٦).

أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٤]، ويقول تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [ص:٤٣].

٦- إرسال محمد صلى الله عليه وسلم رحمة من الله تعالى:

إذا كان كل ما يَنْعم به الخلق من الخير والهدى فهو من آثار رحمة الله تعالى عليهم فإن أعظم ذلك إرسال الرسل عليهم السلام وأعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

لقد اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي على عمومها أم هي للمؤمنين خاصة؟[(١)]، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: "من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف"[(٢)].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : "وأولى القولين بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان يترل بالأمم المكذبة رسلها قبله"[(٣)] ا.هـ.

ويقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية: "وصيغت بأبلغ نظم إذ اشتملت هاته الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ومدح مرسله تعالى،ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها

---

(١) انظر: زاد المسير (٣٩٨/٥)، البحر المحيط (٣١٨/٦).

(٢) رواه ابن جرير (٨٣/١٧).

(٣) تفسير الطبري (٨٣/١٧) وبه قال ابن القيم. انظر: جلاء الأفهام، ص (٩٨-٩٩).

وهل يدخل في هذا العموم الملائكة عليهم السلام؟ قولان.

قال الآلوسي: "والذي أختاره أنه ﷺ إنما بعث رحمة لكل فرد من العالمين ملائكتهم وإنسهم وجنهم، ولا فرق بين المؤمن والكافر من الإنس والجن في ذلك، والرحمة متفاوتة"ا.هـ. روح المعاني (١٥٩/١٧).

رحمة الله تعالى بخلقه.

فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيها الرسول ومرسله والمرسل إليهم والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير (رحمة) للتعظيم؛ إذ لا متقضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم وإلا لقيل: إلا لنرحم العالمين، أو إلا أنك الرحمة للعالمين، وليس التنكير للإفراد قطعاً لظهور أن المراد جنس الرحمة وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم، فهذه اثنا عشر معنى خصوصياً"[1] ا.هـ.

وقال رحمه الله : "واعلم أن انتصاب (رحمة) على أنه حال من ضمير المخاطب يجعله وصفاً من أوصافه، فإذا انضم إلى ذلك انحصار الموصوف في هذه الصفة صار من قصر الموصوف على الصفة، ففيه إيماء لطيف إلى أن الرسول اتحد بالرحمة وانحصر فيها، ومن المعلوم أن عنوان الرسولية ملازم له في سائر أحواله، فصار وجوده رحمة وسائر أكوانه رحمة.

ووقوع الوصف مصدراً يفيد المبالغة في هذا الاتحاد بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله، ويدل لهذا المعنى ما أشار إلى شرحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنما أنا رحمة مهداة)[2].وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين:

الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة.

والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته ... إلخ"[3].

قلت: أما الأول فإن كل من خبر سيرته صلى الله عليه وسلم رأى من حلمه

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/١٦٥).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١/١٩٢) بلفظ : (أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة)، وكذا رواه الحاكم (١/٣٥) وصححه على شرطهما وأقره الذهبي، ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١/١٦٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/١٥٧)، والبزار في كشف الأستار (٣/١١٤).

انظر: مجمع الزوائد (٨/٢٥٧)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٥٩) رقم (٤٩٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/١٦٦).

وصبره ورحمته ما لا يكاد يدركه أحد من الخلق ويكفي في ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ومن ذلك حرصه الشديد على هداية أمته وإنقاذهم من النار حتى لقد كان الأمر يبلغ به مبلغاً شديداً فعاتبه ربه على ذلك بقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦]، فكان فرحه بهدايتهم أعظم مفروح به حتى لقد كان أصحابه يعرفون ذلك في وجهه، وكان ألمه من إعراضهم وصدودهم أشد الألم فصلوات ربي وسلامه عليه، وجزاه خير ما جزى نبياً عن أمته.

وأما الثاني: فإن مبنى شريعته قائم على الرحمة واليسر، وقد كان من صفته في التوراة والإنجيل والقرآن أنه ﴿ يُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال تعالى عن دينه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨]، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[1]، ولذا فقد استقرت القاعدة في شريعته أن المشقة تجلب التيسير، وأنه لا يجب على المكلف إلا ما يستطيعه.

٧- ومن رحمته تعالى إنزال القرآن الكريم:

يقول تعالى:﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ الأنعام:١٥٧]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٥٢]، ويقول تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٣]، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه ﷺ برقم (٦١١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا كان هذا القرآن رحمة تفيض على المؤمنين فعليكم بالاستماع له والإنصات حتى تنالكم هذه الرحمة ويصيبكم ذلك الفضل الكبير.

وما أجمل مناسبة هذه الآية في ختام السورة ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٣] مع ما بدأت به السورة في قوله سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٢].

فافتتحت السورة وختمت بذكر القرآن ، وفي الموضعين بيان أنه إنما ينتفع به ويتذكر هؤلاء المؤمنون، ولذا فهم الجديرون بأن تنالهم رحمة الرب الرحيم جل وعلا[١].

وجاء وصف القرآن الكريم في هذه المواضع جميعاً بالمصدر وهو لإفادة المبالغة إذ الرحمة متمكنة فيه.

وإن من معاني الرحمة في القرآن الكريم:

١- ما فيه من الهداية إلى الصراط المستقيم والدين القويم والتوحيد الخالص وفي طيات ذلك من أنواع الرحمة ما لا يحاط به.

٢- ما جاء به من الشريعة السمحة والتي بنيت على التيسير ورفع الحرج ووضع الآصار والأغلال كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ

---

(١) وقد وصف القرآن بأنه رحمة في كثير من الآيات منها : [يونس :٥٧] ، [الإسراء :٨٢] ،[يوسف : ١١١] ، [النحل :٦٤-٨٩]، [النمل :٧٦-٧٧]، [القصص:٨٥-٨٦]، [العنكبوت :٥٠-٥١]، [لقمان:١-٣]، [الجاثية:٢٠].

ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ويقول سبحانه: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة:٦]، ويقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨] ويقول سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة:١٧٨].

٣- ما ينال المؤمن به من اطمئنان القلب وانشراح الصدر وطيب الحياة مما هو معلوم مشاهد، وقد قال الله تعالى فيمن حُرم هذه الرحمة: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

٤- ما يحصل للمؤمن به، التالي لحروفه، الواقف عند حدوده، المتبع لأوامره، المنتهي عن زواجره من الأجر الجزيل والخير الكثير، وأعظمه وأتمه دخول الجنة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ... ﴾ الآيات [فاطر:٢٩-٣٥].

٥- ومن معاني الرحمة في القرآن الكريم ما ينال المستمسك به من العز والتمكين والسؤدد والرفعة في هذه الدنيا، فيكون له الظهور على من خالف أمر الله ولم يؤمن بالكتاب الكريم يقول سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وقد وصف الله تعالى بعض الكتب السماوية السابقة بأنها رحمة كما قال تعالى عن التوراة: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود:١٧].

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٥٤].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٣].

٨- رحمته تعالى أعظم ما يفرح به الفرحون، وهي خير مما يجمعون:

كما قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

فإذا كان القرآن الكريم رحمة من الله فليفرحوا برحمة الله فإنها أعظم مفروح به، وليعلموا أنها خير مما ينصب البشر ويتعبون من أجله من حطام الدنيا.

وقد حُشد في الآية جمع من المؤكدات والمحسنات البلاغية التي تحفز الذهن لاستقبال هذا الخبر واستيعابه، فمن ذلك:

أنها صدرت بفعل (قل) فهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك لهم وفي ذلك مزيد عناية حيث يؤمر أمراً خاصاً أن يقول ذلك وإن كان جميع ما يترل عليه من القرآن قد أمر بأن يقوله.

ومنها تقديم الجار والمجرور، وهو مفيد للقصر.

ومنها الإتيان باسم الإشارة (فبذلك) عائداً على الفضل والرحمة، وقرنه بالفاء تأكيداً للجملة(١).

ومنها التعبير عن الفرح بصيغة الأمر وهو أبلغ في إثبات المقصود.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨] فهي جملة مستأنفة مفيدة أن فضل الله ورحمته خير مما يسعى الناس في جمعه ويتعبون وينصبون، وهي مشعرة بالتعليل لما سبق، والمعنى: فليفرحوا بفضل الله ورحمته لأنهما خير مما يجمعون(٢).

ويقول تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٧].فمغفرته تعالى ورحمته خير مما يجمعون لو كانوا يفقهون، حتى ولو كان في ذلك قتل لنفوسهم وإزهاق لأرواحهم فإن ما ينقلبون إليه من رحمته تعالى وفضله خير لهم مما يبقون لجمعه.

إن الناس يفزعون من الموت ويرهبون منه ويعدونه فادحة عظمى وخسارة كبرى، ولكن الآية تنبئنا أن الموت إذا كان في سبيل الله فإنما هو انقلاب إلى رحمة الله تعالى وفضله، وذلك لا يعد خسارة في ميزان الحق في ميزان أهل الإيمان، إنه ربح واضح وفوز عظيم، لأنه تحول من الشقاء في الدنيا إلى النعيم في الآخرة، ومن نكد الحياة وهمومها وغمومها إلى رحمة أرحم الراحمين، فهو على الحقيقة فوز كبير لا لمجرد الموت والقتل فإنه لا يرغب فيهما أحد، ولكن لأنه انتقال إلى رحمة الله وكرمه وهو -لا شك- خير مما يسعى المرء ويجهد في جمعه من حطام الدنيا مما يظن أنه سرور ودعة وخير ورحمة.

ويقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠٤/١١).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٣٠/١)، مدارج السالكين (١٥٦/٣).

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣١-٣٢].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ هي النبوة، وقال قتادة (ت١١٧هـ) والسدي (ت١٢٤هـ): هي الجنة[١].

والظاهر أن اللفظ عام يشمل هذين الأمرين وغيرهما مما هو من رحمة الله تعالى بخلقه، يقول الحافظ ابن كثير رحمة الله : "أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا"[٢] ا.هـ.

٩- الرحمة هي بشارة الله للمؤمنين:

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٢٠-٢١].

فهذا التبشير وما بعده هو بيان لتلك الدرجة العظيمة والفوز الكبير الذي نالوه، وفي هذا التبشير بالرحمة من اللطائف ما يلي:

١- إسناد التبشير إليه تعالى فيه مزيد عناية بهم، ورفعة لشأنهم، واهتمام بما يبشر به.

٢- "كون المسند إليه لفظ الرب دون غيره مما يدل على الخالق سبحانه إيماء إلى الرحمة بهم والعناية؛ لأن معنى الربوبية يرجع إلى تدبير المربوب والرفق به واللطف به"[٣].

٣- وفي إضافة الرب إلى ضمير المبشَّرين الموعودين بالرحمة تشريف لهم.

٤- الإتيان بصيغة المضارع (يبشرهم) المفيد للتجدد وفيه إيذان بتعاقب

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٥/٤١)، زاد المسير (٧/٣١٣)، الدر المنثور (١٣/٢٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢١٣)، وانظر: المحرر الوجيز (٥/٥٣)، تيسير الكريم الرحمن (٦/٦٤٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/١٤٩).

الخيرات عليهم وتوالي إدخال السرور إلى نفوسهم.

٥- التنكير في لفظ الرحمة للتعظيم بقرينة المقام وقرينة كونها مبشراً بها، فهي رحمة عظيمة تفوق الوصف وتقدير البشر[١].

٦- في إضافة الرحمة إليه تعالى وبيان أنها واصلة منه تشريف وتعظيم لها إذ كل ما يتصل به تعالى من النعم فهو كريم عظيم.

ولما كانت الجنة من رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم: (تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي)[٢].

لما كانت الجنة من رحمته تعالى جاء تبشير المؤمنين بها في أكثر من موضع، يقول تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴾ الآية [البقرة:٢٥]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت:٣٠]، ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد:١٢].

١٠- الرحمة هي رجاء المؤمنين:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨].

ويقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

---

(١) انظر هذه الفوائد في: التحرير والتنوير (١٠/١٤٩).

(٢) سبق تخريجه .

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].ويقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

إن الذين تتحدث عنهم الآيات ليسوا من العصاة المستكبرين ولا من الجاحدين الكافرين إنهم من الأنبياء المرسلين والمجاهدين المهاجرين والعباد الصالحين، إنهم أقوام ذوو سبق وعمل وجهاد وصالحات، ورجاؤهم لرحمة ربهم هو من أعظم أعمالهم.

إن رجاءهم رحمة ربهم أوثق في نفوسهم من أعمالهم؛ ذلك أن أعمالهم قد يصيبها ما يصيب أعمال البشر من النقص والتقصير والخطأ والتخليط، ولكن رحمته قبل ذلك وبعده وفوق ذلك كله، إنها رحمة الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين.

وهذا إمامهم محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (إنه لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[1].

١١- رحمته تعالى هي دعاء المؤمنين:

لما كانت رحمته تعالى هي أعظم ما يسعى إليه المشمرون، وأفضل ما يطلبه المؤمنون، وهي أعظم مفروح به، بل كل خير في الدنيا والآخرة فمرجعه إلى رحمة الله تعالى وكل شر وبلاء وفتنة فسببه ابتعاد الإنسان عن رحمة الله تعالى وفضله، لما كان ذلك كذلك كثر دعاء المؤمنين ربهم وعظم إلحاحهم أن يهب لهم من رحمته وأن يدخلهم فيها وأن يؤتيهم منها.

ولما كان الأنبياء عليهم السلام أعلم الناس بربهم كان نصيبهم من هذا الدعاء أوفر. وقد حكى الله تعالى دعاء الأنبياء عليهم السلام والعباد الصالحين في القرآن ليتعلم منه المؤمنون ويسيروا على سننه.فهذا آدم – عليه السلام- وزوجه يقولان:

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣]، وهـــذا نوح - عليه السلام- يقول: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [هود:٤٧]، وهذا موسى عليه السلام يقول: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٥١]، وهذا موسى – عليه السلام- ومن معه يقولون: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يعلمه ربه أن يدعو فيقول: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١١٨]، وهؤلاء أصحاب الكهف يقولون: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف:١٠]، وهؤلاء هم المؤمنون يقولون في خاتمة دعائهم: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ويقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]، وحين أمر الله تعالى ببر الوالدين كان من أعظم ذلك الدعاء لهما بالرحمة كما قال سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٤].

إن الخير كله عائد إلى رحمة الله تعالى، وأنت حين تسأله الرحمة فأنت تسأله الخير الكثير الذي تعجز عن إدراكه والإحاطة به فضلاً عن تعداده، وأعظم الدعاء سؤاله تعالى بجوامع الكلم، وإن من أعظمها سؤاله تعالى من رحمته.

١٢- برحمته تعالى يتوسل الصالحون لإجابة دعائهم:

ذلك أن رحمته تعالى صفة من صفاته، والتوسل بصفات الله تعالى من أقوى الأسباب الموصلة للمقصود الجالبة لإجابة الدعاء.

فهذا نبي الله سليمان عليه السلام يدعو ربه فيقول: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل:١٩].

وهؤلاء قوم موسى عليه السلام يقولون: ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس:٨٦].

ففي الدعاء الأول توسل بالرحمة لجلب المصلحة، وفي الثاني لدفع المفسدة.

وفي الدعائين جميعاً تبرؤ من الحول والطول ومن الاستحقاق، وطلبٌ للمقصود بمحض رحمة الله تعالى ومنته، دون أدنى استحقاق من العبد.

وأخبر الله تعالى عن حملة العرش فقال: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ...﴾ الآيات [غافر:٧-٩].

١٣- رحمته تعالى هي جزاء المؤمنين:

لما كانت رحمته تعالى شأنها عظيم، فإنه لم يختر لأكرم خلقه – وهم المؤمنون- جزاءً إلا هي كما قال سبحانه عن نبيه لوط عليه السلام: ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٥].

قال ابن زيد (ت ١٨٢هـ) : "في الإسلام"(١).

وقال ابن جرير رحمه الله : "يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطاً في رحمتنا بإنجائنا مما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وأنقذناه منه"(٢)ا.هـ.

وقال أبو حيان رحمه الله : " ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ أي في أهل رحمتنا، أو

---

(١) رواه ابن جرير (١٧/٣٧).

(٢) المرجع السابق (الموضع نفسه)، وبمثله قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٣٧٠).

في الجنة سماها رحمة إذ كانت أثر الرحمة"[1] ا.هـ.

ويقول تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٥-٨٦].

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): "في هذه الرحمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس.

والثاني: النبوة، قاله مقاتل (ت ١٥٠هـ).

والثالث: النعمة والموالاة، حكاه أبو سليمان الدمشقي"[2] ا.هـ.

والحق -والله أعلم- أن الرحمة في هذين الموضعين شاملة لما ذكر ولغيره، وأحسب أن الأقوال التي نقلت عن بعض السلف في هذا الموضع من باب التمثيل لا التحديد، ذلك أن كل خير يصيب الإنسان فإنما هو برحمة الله تعالى وهو أثر من آثارها، فلا يسوغ أن يحمل النص على نوع من أنواعها دون ما يقتضي ذلك.

وقال سبحانه عن عباده المؤمنين: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: رحمة الله: جنته[3]، قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): سماها رحمة؛ لأن دخولهم إياها كان برحمته[4].

وقال سبحانه: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

(١) البحر المحيط (٦/٣٠٦)، وبمثله قال الآلوسي في روح المعاني (١٧/١٠٨) وزاد: النبوة.

(٢) زاد المسير (٥/٣٨٠).

(٣) انظر: زاد المسير (١/٤٣٧)، وبه قال ابن كثير (٢/٧٦).

(٤) تأويل مشكل القرآن ص (١٤٥).

دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [النساء:١٧٥]، قال ابن كثير: "أي ويرحمهم فيدخلهم الجنة"[1] اهـ.

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:٩٩].

وقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الجاثية:٣٠].

ورحمة الله تعالى التي اختارها لعباده جزاءً -كما في هذه المواضع- يدخل فيها كل ما يحتمله هذا اللفظ العام من أنواع الرحمة، وأعظم ذلك وأولاه وأوله دخول الجنة ورضى الرب الكريم -جل وعلا-.

وقد جيء بالرحمة في بعض المواضع منكرة وذلك لقصد المبالغة والتعظيم، كما أن في إضافتها إليه -جل وعلا- أو الإخبار بأنها منه تشريف وإكرام. والله أعلم.

١٤- رحمته تعالى قريب من المحسنين:

إذا كانت رحمته تعالى قد وسعت كل الخلق، وعمت كل أحد فإن أسعدهم بها حظاً، وأوفرهم منها نصيباً المحسنون الذين عبدوا الله حق عبادته وأنابوا إليه بكليتهم كما قال سبحانه: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف:٥٦].

وفي هذه الآية الكريمة من الوقفات ما يلي :

١- في الإتيان بـ(إن) المؤكدة مع أن المخاطبين ليسوا بمترددين ولا منكرين

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٤).

اهتمام بالخبر[1].

٢- وفي الإتيان بلفظ الجلالة مظهراً من التكريم والتشريف لهؤلاء الموعودين، ومن الإطماع وتقوية باعث الرجاء ما ليس في الإتيان به مضمراً.

٣- قوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وإن كانت كالتعليل لما قبلها[2] إلا أن حكمها عام في كل من كان متصفاً به الوصف.

٤- ورحمته تعالى التي جاء الإخبار عنها في الآية لا يجوز حصرها بمظهر من مظاهر الرحمة أو أثر من آثارها، بل هي عامة، فإذا رحم الله عبداً من عباده تنزلت عليه آثارها من أنواع الخيرات والبركات الدينية والدنيوية الظاهرة والباطنة العاجلة والآجلة، واندفعت عنه أصناف الشرور كلها ما يعلمه منها وما لا يعلمه.

٥- ورحمته تعالى قريب من المحسنين في جميع الأوقات؛ في هذه الدنيا وعند الموت وبعد البعث، على خلاف ما يشير إليه كلام ابن جرير الطبري رحمة الله من أن ذلك ما أعد لهم من كرامته بعد أن تفارق أرواحهم أجسادهم[3].

قال أبو حيان: "الظاهر عدم تقييد قرب الرحمة من المحسن بزمان، بل هي قريب منه مطلقاً[4]ا.هـ.

٦- والإحسان في الآية لفظ عام يشمل الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله[5]، وذلك بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٧٦/٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٧٦/٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤٨/٨).

(٤) البحر المحيط (٣١٦/٤).

(٥) انظر: بدائع الفوائد (١٧/٣)، وتيسير الكريم الرحمن (٤١/٣).

يراك، وتحسن إلى الخلق بنفعهم وإيصال المعروف إليهم والسعي في حاجاهم ونحو ذلك.

٧- ومن الإحسان ما جاءت الإشارة إليه في الآية وهو الإحسان في الدعاء بأن يأتي به على الوجه الشرعي الذي أمر الله تعالى به؛ بالإخلاص والتضرع وإخفاء الدعاء، جامعاً بين الخوف والطمع، دون اعتداء فيه، وأن يحضر قلبه حال الدعاء فلا يدعو بقلب لاهٍ غافل.

٨- قال ابن القيم رحمه الله : "ولما كان قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ مشتملاً على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي الحب والخوف والرجاء، عقبها بقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: إنما ينال الرحمة من دعاه خوفاً وطمعاً فهو المحسن، والرحمة قريب منه، لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة"(١) ا.هـ.

٩- وإذا كان الناس متفاوتين في رتبة الإحسان، فهم فيها ليسوا على درجة واحدة فإن نصيبهم من رحمته تعالى بحسب نصيبهم من الإحسان "فقرب مطلوبكم منكم وهو الرحمة بحسب أدائكم لمطلوبه منكم وهو الإحسان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم فإن الله هو الغني الحميد، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم"(٢) فالجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

١٠- قال ابن القيم رحمه الله : "وقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله، ودلالة بمفهومه، فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بتعليله

---

(١) بدائع الفوائد (١٥/٣).

(٢) بدائع الفوائد (١٧/٣).

وإيمائه على أن هذا القرب مستحق بالإحسان فهو السبب في قرب الرحمة منهم، ودلالته بمفهومه على بعد الرحمة من غير المحسنين، فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة"[1] ا.هـ.

١١- وأخيراً: لِمَ كان أهل الإحسان أسعد الناس بقرب الرحمة منهم؟

والجواب على ذلك أن الرحمة لما كانت "إحساناً من الله أرحم الراحمين، وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن الله إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة، بعداً ببعد وقرباً بقرب، فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته، والله سبحانه يحب المحسنين ويبغض من ليس من المحسنين، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه"[2].

١٥- ولسعة رحمة الله تعالى فإنه لا يقنط منها إلا الضالون:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"[3].

إنما كان القنوط من رحمة الله تعالى ضرباً من الضلال بعيد، وإيغالاً في الكفر إلى درك سحيق لأنه "إساءة ظن بكرم الله ورحمته وجوده ومغفرته"[4] وجهل بعموم قدرته تعالى وقوته وعلمه وإحاطته، وكل هذا جهل بالله تعالى بأسمائه وصفاته، وماله من الجلال والجمال[5].

---

(١) المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٢) المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٣) رواه عبدالرزاق في التفسير (١/١٥٥)، والمصنف برقم (١٩٧٠١)، وابن جرير (٦/٦٤٩) وانظر: الدر المنثور (٤/٣٦٦).

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص (٤٥٠).

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٩/١٥٧).

والقنوط من رحمة الله شامل لرحمته الدينية والدنيوية، فالأول كالقنوط من قبول التوبة، يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣].

وقد حُشد في هذه الآية جمع من المؤكدات التي تقوي باعث الرجاء وتدفع غائلة القنوط ومنها:

١- تصدير الآية بقوله: ﴿ قُلْ ﴾ مع أنه صلى الله عليه وسلم قد أمر بتبليغ القرآن كله مما يدل على العناية بما ورد فيها.

٢- مناداة المخاطبين في الآية بقوله: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ وإضافتهم إليه تعالى فيه تطمين لهم وإطماع بالنجاة.

٣- وصف المخاطبين بأهم قد أسرفوا على أنفسهم، والإسراف هو: الإكثار، والمراد الإسراف بالذنوب والمعاصي، فلم يذكر عنهم ذنباً معيناً، أو خطيئة محددة، وإنما ذكرهم بأهم قد أسرفوا بالذنوب والعصيان، فإذا كان من بلغ حد الإسراف في الذنوب منهي عن القنوط فغيره من باب أولى.

وهذا الإسراف شامل للشرك والكفر وما دونهما من المعاصي كما يفهم من سياق الآيات(1).

٤- النهي الصريح عن القنوط بقوله: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ ﴾ .

٥- تعليق النهي عن القنوط بأنه قنوط من الرحمة، ففيه تعظيم لباب الرجاء، إذ لو ساغ للمرء أن يقنط لم يسغ له أن يقنط من الرحمة.

٦- "إضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات، فإن ذلك ظاهر في سعتها"(2)، مما يعظم الطمع ويزيد

---

(١) قال تعالى بعد هذه الآيات: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر:٥٩].

(٢) روح المعاني (٢٤/٢٢).

الرجاء.

٧- تعليل النهي عن القنوط بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾.

٨- "وضع الاسم الجليل فيه موضع الضمير لإشعاره بأن المغفرة من مقتضيات ذاته"[1] فلا وجه للقنوط.

٩- تعريف الذنوب المفيد للاستغراق، وتأكيد ذلك بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ فهو تعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره.

١٠- "جملة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تعليل لجملة ﴿ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ أي: لا يعجزه أن يغفر جميع الذنوب ما بلغ جميعها من الكثرة لأنه شديد الغفران شديد الرحمة"[2].

١١- تأكيد الجملة بـ(إن) وضمير الفصل (هو).

١٢- حصر المغفرة والرحمة الكاملة فيه تعالى وهو مستفاد من تعريف الطرفين.

وأما القنوط من رحمته الدنيوية فكالقنوط من نزول الغيث أو حصول الولد أو نيل الرزق ونحو ذلك، يقول –جلت قدرته– في سياق قصة الخليل عليه السلام بعد أن بشرته الملائكة بإسحاق عليه السلام: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُواْ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٤-٥٦].

وفي هذه الآية من الفوائد ما يلي:

١- أنه أتى بالاستفهام الإنكاري المتضمن لنفي أن يكون قانطاً بوجه بليغ.

٢- كما أن في الإتيان بالاسم الدال على الربوبية دون غيره من الأسماء مناسبة ظاهرة، ذلك أن معنى الربوبية يرجع إلى تدبير المربوب والرفق واللطف

(١) المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٢) التحرير والتنوير (٤٢/٢٤).

به، وإيصال ما يحتاج إليه، فإذا علم هذا فإنه لا يقنط ممن هذا شأنه إلا من كان ضالاً.

٣- أنه وصف القنوط بأنه من رحمة الله -ذلك أن ما بُشر به هو من رحمته تعالى- ورحمته سبحانه قد وسعت كل شيء فكيف يسوغ القنوط منها؟

٤- أنه وصف القانطين بأبشع الأوصاف وهو الضلال على أسلوب الحصر، وفي هذا تنفير بليغ من هذه الخصلة الذميمة.

وإنما وصف القانطين بالضالين لما ذكرته أولاً من أن منشأه الجهل بالله تعالى وماله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى.

١٦- برحمته تعالى يمهل الكافر ويُنظر العاصي ولا يعاجل عباده بالعقوبة:

يقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٣].

ويقول سبحانه: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٧].

ويقول سبحانه﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف:٥٨].

إن مما يلفت النظر في هذه الآيات التشابه في سياقها ومفرداها، وهي المواضع الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء وصف الله تعالى فيها بأنه ذو الرحمة، كما أها تلتقي جميعاً في الإخبار عن إمهال المعاندين وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولعلي أشير إلى ما في هذه الآيات من الفوائد مما يتعلق بموضوعنا فأقول وبالله التوفيق:

١- الإتيان بالمظهر بدل المضمر، مع اختيار الاسم الدال على الربوبية دون

غيره لما فيه من الدلالة على العناية بصلاح المربوب[1].

٢- اختلف العلماء في قوله: ﴿ ٱلْغَنِيُّ ﴾ وقوله: ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ هل هما خبران أو نعتان للمبتدأ والخبر هو ﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ ، قال ابن عاشور عند آية الكهف: "والوجه في نظم الآية أن يكون ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ نعتاً للمبتدأ، ويكون ﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ هو الخبر لأنه المناسب للمقام ولما بعده من جملة ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ فيكون ذكر ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ ، إدماجاً في خلال المقصود ... وأما قوله: ﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ فهو المقصود تمهيداً لجملة ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ ﴾ ، فلذلك كانت تلك الجملة بياناً لجملة ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ "[2]ا.هـ.

٣- وقال رحمه الله عند قوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ .. ﴾ الآية في بيان الحكمة من العدول عن وصف (الرحيم) إلى وصف (ذو الرحمة): "فأوثرت بكلمة (ذو) لأن (ذو) كلمة يتوصل بها إلى الوصف بالأجناس، ومعناها صاحب، وهي تشعر بقوة أو وفرة ما تضاف إليه، فلا يقال: ذو إنصاف إلا لمن كان قوي الإنصاف، ولا يقال: ذو مال لمن عنده مال قليل، والمقصود من الوصف بذي الرحمة هنا تمهيد لمعنى الإمهال الذي في قوله: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي: فلا يقولنَّ أحد: لماذا لم يُذْهِب هؤلاء المكذبين؟ أي: أنه لرحمته أمهلهم إعذاراً لهم"[3] ا.هـ.

قلت: ومثل هذا التوجيه يقال في الآيتين الأخريين.

---

(١) انظر: روح المعاني (٤٤/٨)، التحرير والتنوير (٨٥/٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٥٦/١٥).

وقد ذهب رحمه الله إلى أن قوله (الغني) في آية الأنعام هو الخبر، وقوله: (ذو الرحمة) خبر ثان.

انظر: التحرير والتنوير (٨٥/٨).

(٣) المرجع السابق (٨٦/٨).

٤- وفي تعريف الرحمة في الموضعين تعظيم لها، إذ التعريف يفيد حصر الرحمة الكاملة فيه جل وعلا، كما أن في تنكيرها في الموضع الثالث تعظيم لها بدلالة السياق ودلالة وصفها بالواسعة.

إن رحمته تعالى وإن كانت ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦] فهي ليست مختصة بهم، بل رحمته عامة حتى للمعاندين المكذبين؛ ذلك أنه تعالى -وهو ذو الرحمة الواسعة- يمهلهم وينظرهم لعلهم يتوبون ويتذكرون.

وقد جاء وصفه تعالى في هذه الآيات بأنه ذو الرحمة ذلك أن هؤلاء المكذبين قد استحقوا العذاب بما اجترحوه من المآثم والمعاصي وبما أتوه من التكذيب والعناد ولكن لرحمته تعالى فإنه يمهلهم إلى أجل معلوم لعلهم ينيبون أو يستدركون.

١٧- ولعظمة الرحمة عللت بها أعظم الأوامر والشعائر:

لما كانت رحمته تعالى أفضل ما يناله العبد في الدنيا والآخرة، وأشرف ما تسمو إليه همم المؤمنين، وترنو إليه أبصارهم وبصائرهم جاءت تعليلاً لأعظم ما أمر الله تعالى به عباده في كتابه الكريم.

ومن ذلك طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

ومن ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:٥٦].

ومن ذلك الاستماع إلى القرآن والإنصات إليه واتباع أوامره كما قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

ومن ذلك الأمر بالاستغفار كما قال تعالى: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل:٤٦].

ومن ذلك تقوى الله والإصلاح بين المسلمين كما قال تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:١٠].

وسواء قيل إن (لعل) في هذه الآيات للتعليل أو للترجي والتطميع – وهي من الله واجبة-[1] فإن هذه الأوامر موصلة للرحمة لمن أتى بها وقام بما أمر الله تعالى به.

والحق أن (لعل) في مثل هذه الأوامر للتعليل المشوب بالترجي والإطماع، فهي أمر ووعد عليه بالرحمة، وللمؤمن من الرحمة بقدر نصيبه من هذه الأعمال، وكلما كان وفاؤه بها أتم ظاهراً وباطناً كان نصيبه من الرحمة أتم عاجلاً وآجلاً.

١٨- الله تعالى يختص برحمته من يشاء:

يقول سبحـــانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥]. ويقول سبحانه: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران:٧٤]. ويقول سبحانه: ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٥٦]. ويقول سبحانه: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت:٢١]. ويقول سبحانه: ﴿ وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الشورى:٨]. ويقول سبحانه: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [الفتح:٢٥]. ويقول سبحانه: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان:٣١].

فقد أخبر الحق –تبارك وتعالى- أنه يختص برحمته من يشاء –وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء- وهذا الاختصاص جارٍ على وفق الحكمة التي لا يتخلف عنها فعل من أفعاله جل وعلا وهو العليم الحكيم، وليست على وفق الإرادة المجردة[2].

فمن أراد أن تناله رحمة ربه، وأن يجعله تعالى ممن اختصه لرحمته فليتعرض

---

(١) انظر: المفردات (لعل) ص (٧٤١)، عمدة الحفاظ (لعل) (٢٦/٤)، البرهان في علوم القرآن (١٥٩/٤).

(٢) انظر: شفاء العليل، ص(٢٠٢).

لأسبابها وليقم بما يوصله إليها، وليحذر من جميع الأسباب التي تصد عنها أو تحجب دون الظفر بها، وليعلم أن رحمة الله واسعة وأنها قد سبقت غضبه تعالى، وهو ذو الفضل العظيم، فلا يُحجب عنها إلا من أقعدته خطاياه وأثقلته ذنوبه، فهو إنما أتي من قبل نفسه وشيطانه، والله تعالى أرحم بالخلق من آبائهم وأمهاتهم.

١٩- وإذا أراد الله تعالى بعباده رحمة فلا ممسك لها:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٧].

ويقول تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

ومن هذه الآيات ونحوها نستفيد عدة فوائد منها:

١- أن الله تعالى له الأمر كله وبيده ملكوت كل شيء، لا يخرج شيء عن ملكه وتدبيره، يقول تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٧٨].

٢- أن ما يترله -تعالى- على عباده من الرحمة أو الضر .. الخير أو الشر فإنما هو على مقتضى حكمته التي عمت كل شيء وبها قامت السموات والأرض، ولذا ختمت آية (فاطر) باسم (الحكيم) إشارة إلى أن إرسال الرحمة أو إمساكها فإنما هو على ما قضت به حكمته تعالى.

٣- وفي ختم الآية أيضاً باسم (العزيز) وقوله في آيـة الأحـزاب: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ وقوله في آية الزمـر: ﴿ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ بيان أن إنزال الرحمة كما أنه من عند (الحكيم) فهو من عند (العزيز) الذي لا مُكره له ولا مُغالب، ولا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه، فهو إخبار متضمن معـنى التعليل للجملة السابقة، فلعزته تعالى وقدرته لا يستطيع أحد ردَّ مـا أرسله أو إرسال ما يمسكه.

يقول ابن عاشور رحمه الله في مناسبة ختم آية فاطر بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ : "لإفادة أنه يفتح ويمسك لحكمة يعلمها، وأنه لا يستطيع أحد نقض ما أبرمه في فتح الرحمة وغيره من تصرفاته، لأن الله عزيز لا يمكن لغيره أن يغلبه، فإن نقض ما أبرم ضرب من الهوان والمذلة"(١) ا.هـ.

* * *

(١) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٣).

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

ففي ختام هذا البحث يحسن ذكر أبرز المعالم الواردة فيه:

١- صفة الرحمة من الصفات العظيمة التي اتصف بها الله تعالى على ما يليق بعظمته وجلاله.

٢- ورد في القرآن الكريم عدد من الأسماء الدالة على هذه الصفة منها ما اتفق العلماء على عده من الأسماء الحسنى، ومنها ما اختلفوا فيه.

٣- الأسماء التي تدل على الرحمة واتفق العلماء على عدها من الأسماء الحسنى هي: الرحمن، الرحيم، الرؤوف.

٤- الأسماء التي تدل على الرحمة واختلفوا في عدها من الأسماء الحسنى هي: أرحم الراحمين، خير الراحمين، ذو الرحمة الواسعة.

٥- إذا ورد شيء من الأسماء الحسنى الدالة على الرحمة في أثناء الآيات أو ختامها فذلك لفائدة قد تظهر لنا وقد لا تظهر، وقد بينت في أثناء البحث بعض الحكم بحسب ما ظهر لي.

٦- مطالعة العبد لمعاني هذه الأسماء الحسنى مما يقوي في قلبه باعث الرجاء ويدفع عنه اليأس والقنوط.

٧- يستحب للمرء أن يتوسل في دعائه لربه بأسمائه وصفاته، وينبغي أن يكون الاسم الذي يتوسل به مناسباً لمطلوبه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس المصادرو المراجع :

١- **أسماء الله الحسنى**، عبدالله الغصن، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٢- **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، الحسين بن محمد الدامغاني، ت: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٥م.

٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٤- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٧)، ١٩٨٦م.

٥- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٦- **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، حققه: عادل عبدالموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٧- **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

٨- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٩- **تأويل مشكل القرآن**، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤٠١هـ.

١٠- **تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي**، محمد عبدالرحمن المباركفوري، دار الفكر، ط الثالثة، ١٣٩٩هـ.

١١- **تفسير التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، أبو جعفر بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، راجعه: أحمد محمد شاكر. ونسخة أخرى: دار المعرفة، بيروت (الإحالة عليها من الآية ٢٨ من سورة إبراهيم إلى آخر القرآن).

١٣- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، دمشق، ط الأولى.

١٤- **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن كثير، ت: عبدالعزيز غنيم، محمد عاشور، محمد

البنا، دار الشعب، القاهرة.
١٥- **تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني**، ت: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
١٦- **التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.
١٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن بن سعدي، دار الإفتاء بالرياض، ١٤١٠هـ.
١٨- **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو عثمان الداني، صححه: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
١٩- **جامع الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام، ط الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٠- **الجامع الصحيح**، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.
٢١- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبدالله محمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢- **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، ت: طه يوسف شاهين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.
٢٣- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، حققه: عبدالله التركي، وآخرون، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢٤- **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، محمود الآلوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٥- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٢٦- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٧- **سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني**، دار السلام، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٨- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، حققه: شعيب الأرناؤوط، وآخرون،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الرابعة، ١٤٠٦هـ.

٢٩- **شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الرابعة، ١٤١٧هـ.

٣٠- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣١- **صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري**، دار السلام، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.

٣٢- **طبقات المفسرين**، شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أحمد بن يوسف (السمين الحلبي)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٤- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٥- **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، عبدالرحمن بن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٣٦- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، محمود الزمخشري، ت: عادل عبدالموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٧- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، مكي بن أبي طالب، ت: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الخامسة، ١٤١٨هـ.

٣٨- **لسان العرب**، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت.

٣٩- **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٠- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٤١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبدالحق بن عطية الأندلسي، ت: عبدالسلام عبدالشافعي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٤٢- **مختصر الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن الموصلي، دار الندوة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٣- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٤٤- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبدالله الحاكم، إشراف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

٤٥- **المصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني**، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤٦- **معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي**، حققه: محمد النمر، وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٧- **معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج**، ت: عبدالجليل شلبي، دار الوليد،جدة، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٨- **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٩- **الموضوعات**، أبو الفرج بن الجوزي، دار الفكر، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٠- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين البقاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٥هـ.

* * *